

رواية

غرفة في
المدينة الجامعية

دعاء العربي

الطبعة الأولى

الكتاب : غرفة في المدينة الجامعية

المؤلف : دعاء العربي

تصنيف الكتاب : رواية

تصميم الغلاف : محمد جمال

إخراج : احمد عبد الحلیم

المقاس ٢٠ × ١٤

رقم الإيداع : ٢٠١٥ / ١٦٨٣٧

الترقيم الدولي : 0 - 098 - 776 - 977 - 978

التجهيزات الفنية والطباعة

دار بسطرون

للطباعة والنشر والتوزيع

طباعة وتوزيع الكتب في جميع أنحاء العالم

المكتبة والمطبعة : ٣ ش صفوت - محطة المطبعة

شارع الملك فيصل - الجيزة

جمهورية مصر العربية

٠١١٥٧٧٦٠٠٥٢ - ٠١٢٢٩٣٠٠٠٢٩

مدير الإنتاج : أحمد عبد الحلیم

رئيس مجلس الإدارة : عماد سالم

جميع الحقوق محفوظة

إهداء

إلى أشقائى الرجال الذين فرشوا لى أنفاسهم كى أسير
بخطى متزنة على شوك دون جراح

إليكم :

سراج . عبد الرحيم . على . محمد . مصطفى .

obeikandi.com

انظفت شمس صدقه فجلست بعتمة روحها في ركن من أركان
المدينة الجامعية تندب حبها مشيعة جثمان ضحكته في نعش
الخيانة ، الخيانة تلك الكلمة العاهرة التي تتغذي علي الدموع
فتثمر فقدان الذات والإحساس بالنقص، تمننت لو أن التقويم
يمنحها فرصة تكرار هذا اليوم كما تمنح المنظومة التعليمية
طلابها الراسيين إعادة الامتحان ، لمنعت نفسها من الذهاب
إلي ذاك النادي ، وبذلك لا تري عمادها في قميصه الأحمر
المصبوغ بدم ضحاياه وبنطاله الذي اسود من كثرة ذنوبه قابعا
مع فتاة علي أريكة الخداع ، قابضا علي يدها ، شاهرا سلاح
"التسبيل" ، وبذلك ستسير مركبة حبها دون الارتطام بالحقيقة
وستحمل شهادة من مدرسة حبه ليس لها علاقة بالواقع
تماما كما الطلاب .

دخلت عليها "سارة" فانقطع حبل أمنياتها واتصلت روحها
بالبكاء ، احتضنتها وربتت علي ظهرها بحنان قائلة "ولا يهملك
ياهاجر ده ولد مدعي وكذاب وياما حذرتك منه ، صدقيني
مايستحقش دموعك " .

ابتلعت مرارتها ولملمت حبالها الصوتية قائلة : تفتكري إيه
اللي يخلي واحد يخون واحده بتحبه وتخلص له ؟!

أجابتها بأسف : مش كفايه أنك تحبي وتخلصي مع واحد
زي عماد بيحب حبك ليه ويخلص لغريزته أكثر ، ماكنش

لازم تديه حجم أكبر من حجمه.

انغرزت تلك الكلمات في قلبها ومن حولها تخلت الأرض عن جاذبيتها ، فلف رأسها وتشوشت رؤيتها حتى ارتطمت بالأرض.

احتضنتها الحيرة فاحتضنت حقيبتها مؤكدة أنها ضلت طريقها ، تتخبط في المارة فتختبئ من نظارتهم خلف حجابها الطويل ، الذي يمازح كعب حذائها ، كلما ازدحمت الشوارع ازدحمت رأسها بالمخاوف ، تخجل أن تستوقف أحداً لتسأله عن الطريق ، أخذت تلوم نفسها علي إصرارها علي السفر بمفردها.

ظلت هائمة حتي أنقذها صوت المترو، وسيلة كل تائه ، قطعت التذكرة بسهولة ولكن خذلتها ماكينات التذاكر حيث تبادلت علي أكثرهن لعدم معرفتها بأماكن الدخول والخروج حتي أنقذها رجل الأمن لتقع في شرك السلم الكهربائي .

رمقته بنظرة خوف ، تمتت بآيات الله المنجيات ثم حاولت جاهدة وضع إحدى قدميها وتبعته بالأخري وباءت محاولتها بالفشل أمام تردها حتي استقبلت لكمة من الخلف جعلتها في منتصف السلم وبرغم ألمها سعدت بها وتمنت من القدر أن يمنحها بأخري عند الصعود لكنه لم يستجب ، فمدت قدما وهمت بالأخري فلم تسعفها فردة حذائها التي تخلت عنها والتصقت بالسلم ، مما جعلها تتصيب حرجا أمام المارة .

بعدها استقلت عربة مترو أقل ازدحما من الأخريات ، فوجدت الرجال جالسين والفتيات واقفات مع قلة عددهم ، ترحمت علي زمن الشهامة في سرها ووزعت عليهم نظرات العتاب حتي وقعت عليها جملة من عجوز : ستات طماعة مافيش حاجه ماليه عينهم ، إيه اللي جاي بهم عربياتنا ؟! ، وكمان عايزنا نقوم ونعقدهم مكانا .

فهمت إن لكل منهم عربيات ، حاولت أن توضح له الأعذار لكنها تراجعت امام تجهمه ، اكتفت بالالتفات إلي الباعة الجائليين وبضاعتهم حيث شعرت بأنها في سوق متحرك ، أشياء كثيرة ودت شراءها ولكنها لم تفعل ، كحال الكثير من المغتربين الذين يقلون علي أنفسهم تجنباً للمواقف المحرجة والمشكلات لجهلهم بطبيعة الأشياء في البلد الجديد .

بعد مرور نصف الساعة من ضجيج الباعة وكلمات المتسولين ومشاجرات الركاب وسبابهم عند الصعود والنزول انتهت رحلتها التي كفرت فيها عن ذنوبها منذ الميلاد ، ووصلت للمدينة الجامعية .

:أنا مكاسب السيد سعيد من سوهاج اللي كلمتك عني مدام صباح المشرفة : أهلا يامكاسب اتفضلي .

تقدمت بخطوات قلقة مهممة بكلمة "شكرا".

المشرفه : إنْتِ اتأخرتِ يامكاسب في الحجز ، كل الغرف اكتملت بس عشان خاطر مدام صباح أنا هاتصرف ، تعالي معايا .

دب القلق في مفاصلها ، ولعلت عيناها بدمعة حائرة ، ثم حملت حقيبتها التي أثقلها الخوف واتبعت المشرفه بخطي متوترة.

تبروز عينيها العسليتين بالكحل الصارخ فتمطر عسلا علي القلوب الظمأنه ، تتحسس شفيتها المكتزتين وتبدل أقلام الروح لتستقر علي الأحمر الزاهي ، هو بمثابة ختم تختم به علي نفس القلوب ، تتخلص من خمريتها بالمساحيق البيضاء وتبعثر شعرها البني الداكن فيداعب كتفيها ، ترتدي كعبا عاليا لتتمايل بخصرها المياس في ملابسها التي تختارها بعناية فائقة ثم تتطيب بعطرها المميز، وتخرج من الغرفة لتقف في الطريقة أمام المرأة الكبيرة لتخطف نظرة أخيرة لتطمئن علي سلامة هيئتها ، هي الأميرة اسما وفعلا هكذا توجت علي قلوب الرجال ، وبمجرد نزولها الشارع تتساقط ضحاياها كورق الشجر ، فهي تؤمن بأن الرجال كالألوان يختلفون في الشكل ويجتمعون في الخصائص ، فمهما كان الرجل ، عالما أو جاهلا ، عاقلا ، طائشا ، متزوجا ، أو أعزب سيخر مستسلما واضعا سلاح مقاومته تحت قدميه أمام عيون أنثي حباها الله الألوان وخاصة لو مثل عينيها التي تتأثران بالشمس وإضاءة فتتقلب ما بين العسلي والأخضر ، ولذلك جعلت دستورها "واحد للكف وثمان لف وثالث علي الرف " ، بل وجدت متعتها في ذلك ، كانت تستعد للقاء "حسين" زميلها ، شاب نحيف لكنه وسيم

، أبيض ناصع البياض ، شعره أسود ناعم ينسدل علي جبهته
، مرهف الحس ، أول ضحاياها وليس آخرها ، سخر حياته
لكتابة الشعر في عينيها

اتجهت المشرفة إلي مبني « ١ » غرفة (١٥) ، طرقت الباب
ولم تتلق إجابة فأخرجت مفطاحاً من سلسلة مفاتيح فتحت ،
ونادت علي الدادة أمرتها بوضع سرير خامس في الغرفة ثم
أشارت لمكاسب بوضع حقيبتها موضحة أن هذه غرفتها وهذا
سريرها و ليس لها دولاب لعدم وجود مكان .

امتننت مكاسب وارتسمت علي وجهها ملامح الرضا والسعادة
وشكرتها ثم فرشت سريرها وارتمت عليه لتستريح من أعباء
السفر وضجيج المواصلات .

جرجرت قدميها مستندة علي «سارة» ومازالت رأسها ثقيلة
والدنيا مظلمة في عينيها حتي وصلتنا للغرفة .
فوجئت بوجودها ، فقالت سارة: إنتِ مين ؟ ، دخلتِ هنا إزاي ،
وإيه اللي عملتيه في الأوضه ده؟

ردت بلهجتها الصعيدية: انتوا اللي مين؟! ، دي أوضتي ، وده
سريري .

أشاحت سارة بيدها: طب لمي حاجتك واطلعي بره ، بدل ما أرميها أنا.

مكاسب: طب أرميها كده ، وأنا أرميكي وراها.

ارتفعت الأصوات وكل من لديها كلمة “روح“ لم تبخل بها حتي جاءت المشرفة.

يا مس الأوضه ضاقت مفهاش مكان نوقف فيه ، مينفعش كده، قالت هاجر التي مازالت متأثرة بصدمتها العاطفية.

المشرفة: معلش يابنات نستحمل بعض الترم ده بس ، والترم الثاني هاتصرف .

سارة: لا يا مس مش هنستحمل يوم واحد اشمعني احنا يعني؟ تتخلي المشرفة عن اللين في لهجتها وتتكلم بحدة : أنا قلت اللي عندي ، والمتضررة تتفضل تمشي.

سارة: مش هنمشي يا مس وهنقدم شكوي لرئيس الجامعة شخصيا.

تصاعد الموقف ولم يهدأ إلا بدخول أميرة التي انتهت من لقاء حسين ، استمعت للمشكلة ، وألقت نظرة طويلة علي مكاسب ، ثم نظرت لأظافر يدها هي التي تكلفها الكثير ، فاصطحبت سارة وهاجر في ركن من أركان الغرفة قائلة : اسمعي منك ليها دي شكلها بت عبيطه لسه في سنة أولي ، خليها تغسل لنا المواعين وتشوف طلباتنا واحنا بنذاكر ، وكده كده جهاد مش

بتعقد كثير يعني كأننا أربعة زي ما احنا.

سارة: لا والمذاكرة مقطعه نفسها معاكي ، هو أنت عارفه نفسك في سنة كام أصلا .

المشرفه: ها ، اتفقتوا علي إيه؟.

أميرة : خلاص يا مس خليها قاعدة الترم ده عشان خاطر بس وعشان لما نتأخر في دفع المصاريف ماتذليش أهالينا.

داعب شعرها الكستنائي ، فانفرد علي وسادة العشق، تشابكت الأيدي، فاختلطت الأنفاس وانصهر الجسدان حتي صار جسداً واحداً ، ذابت الشموع فهبت مذعورة، حاول أن يستبقها بقبلة تركية ، لكن الساعة الثامنة مساءً آخر موعد لدخول المدينة الجامعية .

عدلت من هيئتها وهرولت مسرعة .

تستعد للمعركة المعتادة بينها وبين مشرفة الأمن.

:ماينفعلش تدخلني ، الساعة تمانيه ونص .

:يعني إيه ، أبات في الشارع؟

:لا باتي مكان ما كنتي.

أنا كنت في الجامعة عندي محاضرة متأخرة.

:هاتي تصريح بالكلام ده من دكتور المادة زي زميلك.

:وهما زميلي لما يتأخروا بتطردوهم كده؟

ساحرة: لا بنبعت جواب لأهليهم الأول نعلمهم أزاى يربوا بناتهم .

استاءت من سخريتها وهمت بضربها لولا حضور المدام رئيسة
المبني التي وبخت الأمن : أنتي ازاى بتمنعي طالبه من الدخول
وكمال بالليل !؟

ردت بانكسار: بتجي متأخر كتير حضرتك ...

قاطعتها بحددة : بتتأخر تترقد، تشوف مكان تاني يناسب
مواعيدها ثم اتجهت نحوها بنفس الحددة ، اسمك إيه؟
:سارة.

: في سنة كام يا سارة؟

:تالته حقوق.

يعني عارفه النظام، قبل أن تبرر وتدافع عن غلطتها ،رمقتها
بنظرة احتقار، دي آخر مرة تتأخري فيها يا سارة .

وقبل أن ترد عليها قطعتها : اتفضلي علي أوضتك.

تتقلب يمينا ويسار لتقبض علي النوم ، يلفظها الفراش ،
فهذه أولي لياليها خارج سريرها الصغير المحصن بـ " شخير
" والدها من الخارج وأنفاس والدتها من الداخل ، طالتها نيران
الغربة ، اختنقت فانفجرت باكية ، علا صوتها بنحيب متقطع
كنحيب الأطفال.

تأففت سارة : هي ليلة غامقة من أولها ، بتعيطي ليه
حضرتك؟ مش قعدت علي قلبنا وخذتي سرير أكبر من
بلدكم ، عايزه إيه تاني؟

زاد نحيبها فتدخلت أميرة مسرعة : مالك يامكاسب خير؟

: اتوحشت أمي قوي ، مش عارفه أنام من غيرها.

قهقهت أميرة: ليه لسه ما اتفطمتيش؟ فيه حد يعيش بعيد
عن اهله ويعيط؟

مكاسب : محدش حاسس بيا.

أميرة : بقولك إيه ، أنا معايا مكاملة مهمة وإنّ دمرتي برستيحي
بصوتك البقري ده ، فخليكي جدعة كده زي ما أنا كنت جدعه
معاكي بالنهار ، واتخمني نامي ها ، اتخمني ثم قذفتها بالوسادة .

تمسح مكاسب دموعها وماء أنفها وتحاول كتم نحيبها ولكنها
لم تستطع .

نهضت هاجر من فراشها واقتربت منها بعيون دبلانه من

أثر البكاء وفي وهن قالت: عيطي ، عيطي أوي ، احنا البنات اتخلفنا عشان نعيط ، كل حاجة فينا وحوالينا تستدعي البكاء .

ثم هزمها الدمع فبكت

هبت فيهما سارة : ممكن تعيطوا بره فيه طرقة كبيرة معموله مخصوص للعياط بالليل ، ممكن تولعوا في نفسكم حتي محدش هيعترض بس سبونا نتخمد .

زادت دموعهما مما قلب عليها المواجه ، فانضمت لحزبهن " حزب البكاء ليلا" .

التفتت أميرة مندهشة : يخرب بيتكم ، قلبتوها محزنة كده ليه؟ ثم اتجهت لمكاسب: كله منك يا فقر ، قال مكاسب قال ، دانتي مجموعة خسائر في بعض ، ثم تعود لمكالماتها مرققه صوتها : سوري يابيبى ، الصوت! ، ده صوت الT.V ، لا أنا كنت برد علي دادي علي الموب الثاني بيتصل عليا من سنغافورة .

صمتوا لحظة ثم انفجروا ضاحكات من كذبها وطريقة كلامها.

حتما ستغفر له ، فقط يكلفه الأمر مكالمة هاتفية ، ولن تنتظر منه مبرارا لخيانته أو عذر ، فمثله لا يعتذر ، فقط مكالمة عودة ينوه فيها عن رغبته في الرجوع ، يسقط سقف أمنياتها إلي "رنة" اورسالة " ، وهي من تتصل ، لكنه لم يفعل ، لماذا لم يفعل؟

ألم يكن الوقت موعد حديثهما معا ، يشكو إليها قسوة الأيام ، وسوء حظه في الحياة ، لماذا لم يتصل لتقسم له أن لا قسوة تعلق علي قسوته ، ولا حظ أسو من الوقوع في حبه ، فمثله يحتاج لهزة أرضيه كي يلين.

تواطأت معه شبكة المحمول اللعينة متلاعببة بأعصابها ، فلم تكف عن إرسال رسائل إغراء للشحن ، " أشحن تكسب " ، مؤكدا شبكة فاشلة ، فإذا لم يكن ، فلماذا لم ترسل " اشحن تنسي " أو " اشحن يتصل بك من تريد " ، وجميعهم يندرج تحت بند الاستخفاف بعقول العملاء.

" عماد يتصل بك " ودت لو تقرأها ، تصبرت برسائله القديمة ، فتنفجر شفتها لكلام الرسالة وتدمع لفقدان صاحبها . دخلت عليها مكاسب حاضنة " سرافيس " الأكل ، تصب لعناتها علي الطابور الطويل الخاص بمطبخ المدينة : دي آخر مرة أجيب فيها الأكل ، دا أنا لو بحارب الإرهاب مكنش حصل فيا كده.

لم تلتفت إليها هاجر ، فسألت مكاسب : فين البنات؟

أشارت بيدها نحو البالكونة

" يصلح حالك ربنا " همهمت بها مكاسب ، وأطلقت صوتها مناديه : يا أميرة ، يا سارة تعالوا عشان..... قاطعتها سارة: أش أش وطي صوتك.

مكاسب : إيه ، بتعملوا إيه؟

سارة بجدية : بنعكس الإسعاف.

مكاسب : أنتوا مجانين ، حد يعاكس الإسعاف، افرض حد تعبان واتصل ينقذوه ، تتسببوا في موته ، دي جريمة.

سارة: اتلهي ، من أمتي الإسعاف بينقذ التعبان ، دول ما بيجوش غير بواسطة .

حملقت فيها مكاسب مندهشة من كلامها ، فأكدت أميرة : فعلا ، هما والمطافي بس المطافي الشهادة لله بتيجي ، هي صحيح بتيجي بعد الحرايق ما تخلص والنار تاكل كل حاجه ، فقولنا نستفيد منهم باي حاجه ، نكسر الملل ده.

مكاسب : انتوا معتوهين ، بتصلحوا الغلط بغلط ، عشان حد فيهم مش شايف شغله ، تساعدوه علي كده ، وتأذوا ناس تانيه.

سارة: حد فيهم إيه ، دول كلهم ، أنا نفسي لما أبويا كان بيموت وينزف قدامي واتصلت عليهم أترجاهم وأبكي وبرضوا ماجوش.

مكاسب حائرة: حسبنا الله في كل واحد مش بيشوف شغله ، مش الحكومة بس هي اللي فاسدة ، الشعب كمان فاسد ، المهم يلا بينا نأكل قبل الأكل مايبرد.

سارة: قومي كلي معانا يا هاجر.

: مش قادرة.

: أزي مش قادرة، إنت كده هيجيلك هبوط من قلة الأكل، تكمل مكاسب : دي هتموت خالص والبرشام اللي بتبلعه علي الجوع.

تصرخ فيها أميرة: ما تفوقي لنفسك يا هاجر ، محدش يستاهل ، محدش يستاهل ، أغنيهاك .

هاجر: إنتوا ليه مابتحرموش عزلة الناس؟! ، مش عايزه حد يكلمني ، مش عايزه حد يكلمني .

سارة بهدوء: عارفه يا أميرة أنت لو دخلتي جهنم ، مش هيبقي لإنك عندك قدرة علي إغراء الأوليا ذات نفسهم، ولا لأنك بتعلقني كل يوم واحد وتقلبيه ، لا ، هيكون بسبب إنك عرفتني هاجر علي واحد زي عماد.

أميرة: ليه إن شاء الله ، أنا اللي قلت لها تخليه فوق بني البشر عشان يخليها تحت الأرض ولا قلت لها اتعجني بمية ضعف قدامه ، هي اللي خايبه.

تنفجر هاجر باكية: إنتوا مابتحسوش، قلت مش عايزة حد يكلمني ، سيوني في حالي ، أحسن أقسم بالله ارمي نفسي من فوق واريحك، ثم تتجه نحو النافذة.

أمسكت بها مكاسب: استهدي بالله كده ، وإنتوا يا بنات

كلوا وإنتوا ساكتين ، ولا روحوا بالكونة شوفوا النجدة ، ناس
كثير بتشكي منها ، المهم سيبوها ترتاح .

وقع عليها جبل من الفرع ، تسللت إليها كل ألوان الفرع
بتسلل تلك اليد الفاجرة التي ذبحت كبرياءها ، لملت ماتبقي
من روحها المذعورة وعادت لحجرتها الجامعية بانهييار عصبي ،
جرت نحوها هاجر: فيكي ايه يا مكاسب مالك ؟

زادت ضربات قلبها ، فانكمشت في سيرها مختبئة خلف
وسادتها، اقتربت منها سارة بهدوء مؤذ و كوب ماء : اشربي
واهدي ، إنتِ مش أول واحدة يتحرشوا بيها .

هبت مذعورة حطمت كوب الماء بحركة جنونية لتمسك ببقايا
زجاجه محاولة قطع شرايينها قائلة: مش هاستحمل أعيش
بعد النهاردة .

انهالت عليها هاجر: هتنتحري عشان اتحرشوا بيكي يا
جاهله ، لو كل بنت اتحرشوا بيها عملت زيك كان زمان
مصر بتستورد بنات من الصين .

اطلقت اميرة ضحكتها الرنانة وهي تجلس بعيدا برود : عايزه تموتي
عشان أيد اتمدت عليك ، لا دا إنتِ مش معانا علي الكوكب بجد .

سارة : فاكه شكله

: كنت راكبه في الميكروباس من قدام ، وهو كان من وراء
وماقدرتش أعدل وشي أبص

سارة: جبانه ، ضيعتي حقك.

: يعني كنت هعمل إيه بشكله؟

أميرة: بتهكم ، أصل سارة اللي عايشه علي المريخ ، كانت
عايزاكي تروحي القسم عملي محضر تحرش ، عشان العساكر
يتحرشوا بيكي والظابط ووكيل النيابة وبعدين يجي صحفي
يتحرش برضه وفي الآخر ياخذلك صورة ويعمل عليك
مهرجان ، مش قادرة تفهم إن المجتمع بيتحرش علي نفسه

سارة: سلبياتكم دي هي اللي بتضيع حقنا.

هاجر: سارة عندها حق يا مكاسب ، كان لازم تاخدي
حقك ، اقلها كنتي لميتي عليه الناس يرنوه علقه معتبره.

سارة: مجتمع ذكوري متعفن ، عمره ماهينضف ، مش بيقولوا
لبس البنات هو السبب ، اهي مكاسب لابسه طرحه ملايه
سرير وعبايه في وسع الشوال ، وسنحتها ماتشجعش قطة تبص في
وشها ، لأواخذة يا ماكاسب ، وبرضه ماسلمتش من ولاد الكلب.

أميرة بمزاحها المعتاد: ما قالتلك كانت عادله وشها قدام.

مكاسب : حسبنا الله ونعم الوكيل ، أنا عمري ما همشي
لوحدي تاني ولو حكم الأمر أحول من صيدله لحقوق واروح

وأجي معاكم ولا اروح بلدنا خالص ، ولا يحصل لي كده.

★★★

شيء ينقصها ، بل كل شيء ينقصها في غيابها ، تلاقت الأعين
فعدت إليها الحياة ، ودت أن تهرب بنظرها بعيداً تعبيرا عن
غضبها ، لكن الشوق هزمها ، فاقترب هو : إزيك يا هاجر ،
ردت بدموعها ، لم يلتفت ، فدفعته في صدره : إنت إيه يا
أخي؟! بشر زينا بتحس؟! ، للدرجة دي مش فارقه معاك؟! .

بتعمل معايا كده ليه؟ ، ليه مصر تضيعني؟

عماد: مش أنا اللي بعمل يهاجر ولا انا اللي هاضيعك ،
صحابك هم اللي ضايعين وهيضعوكي معاهم ، عموا
قلبك وهيفسدوكي ، تقدري تقوليلي نهيتي اللي بينا ليه؟
تبتلع ريقها مندهشة: عشان شوفتك بعيني قاعد معاها في
النادي و.....

: ماوجهتنيش وسمعتي مني ليه؟ ، بس إزاي ، لازم تسمعي
من سارة بأني خاين وكداب وتفضحيني في كل مكان.

بعيون زائغة وصوت مبحوح: يعني إيه؟

ماخونتنيش؟

نظر لها نظرة احتقار دون إجابة.

: طب محاولتش تتصل بيا ليه؟

: سارة سبقتني واتصلت وبختني وقالت لازم أبعده عنك عشان
هتشفوني حياتك ، وقالت ده كلامك.

هاجر: سارة عملت كده؟

عماد :اكيد ماتقصدش ، هي بس زعلت علي زعلي لما
شوفناك مع البت الليوانقطع صوتها
حركت يدها لتلامس يده ، فسحبها معنفا :مش إنتِ اللي
تقرري البعد والقرب.

حملت عينها توسلات أهل الأرض جميعا: أرجوك يا عماد
،سامحني دي آخر مره.

عماد: إنتي جرحتيني بسوء ظنك ، وسمحت لصاحبك التافهه
تهين كرامتي.

: آسفه ، بجد آسفه وهاتصرف مع سارة ولو عايزني

قطعها بحددة : عايزك تقطعي علاقتك بسارة خالص.

: إزاي ، دي أكثر من أختي وبقالنا سنين مع بعض وبتخاف
عليا أكثر من نفسي

: بقولك إيه فوقني لنفسك كده وكفايه عبط، دي واحدة قذرة
وسمعتها زي الزفت وهتضيعك معاها.

: ماتغلطش لوسمحت ، قالتها بغضب

: مش عايزه تعرفي أنا بقول عليها كده ليه؟

سادت لحظة صمت بينهما نهشها الفضول والقلق معا فقالت
: اتفضل قول.

: سارة البريئة بتروح شقق مع ننوس عين أمه ”حمزة“
مقضيها بفلوس ، بتبيع نفسها يعني.

صرخت :كفايه ، سارة عمرها ما تعمل كده ، أنت كداب.

: لسه بتدافعي عنها ، طب اساليها ، مش بتقولي إنها أكثر
من أختك مفيش أخت هتكذب علي أختها

صمتت لتستوعب ما سمعته ، فقال: دلوقتي ليكي الاختيار ،
يا أنا ، يا هي ، يا تكلمي معايا وبنبي مستقبلنا ، ياتضيعي
مع سارة هانم ، بس لو أختارتيني وعرفت إنك قولتلها
صباح الخير ، هندمك.

أسندت رأسها علي الحائط وأغمضت عينيها ، فتساقطت
دموعها ، وهامت علي وجهها ، لا تعرف أين تذهب ، لأول
مرة تكون متعبة ولا تريد أن تستند علي سارة ، سارة تلك
الشمعة التي تنير لها الطريق وان كانت تحترق.

تساءل : لماذا يصر القدر علي إزعاجي ، إن لم يكن بجرح
الحبيب فبغدر الصديق؟

أنا لم استطع مواجهة الحياة بمفردتي ، الحياة تلك التي
أسكنت المتاعب فيها كما تسكن الروح الجسد.

أميرة: أنا هاحضر محاضرة دكتور عبد الغني علي طول ياسارة
سارة: مع إن عبد الغني بيقراً من الكتاب وبياخدش نفسه
كأننا في حصة قراءة .

أميرة: عبد الغني إيه ، انت هنا فريره.

سارة : مدام كده ، قومي بينا نروح انا صدعت وزهقت.

أميرة: طب استني لما عبد الغني يرفع وشه من الكتاب
نستأذن منه.

في حجرتهن الجامعية ترقص هاجر علي سريرها ، وعادت
أميرة وسارة من الجامعة لوحت أميرة بيدها كالقاء التحية في
حين دخلت سارة مبتسمة ، القت السلام وطبعت قبلة علي
خد هاجر قائلة: عامله ايه يا هوجو؟

ردت مكاسب: من ساعة ما رجعت من الجامعة وهي كده ،
ما صدقنا ما راقت شويه الأيام اللي فاتوا.

قلدت سارة لهجة مكاسب الصعيدية بمرح : يبقي شافت

المحروق ابن المحروقه مع واحدة تانيه

رفعت هاجر راسها غاضبة: لا ، شوفت قذراتك اللي كل الناس عارفها إلا أنا.

بنبرة صوت مهزوزة تكلمت سارة: بتتكلمي كده ليه يا هاجر ، مالك اتجننتي ولا إيه؟

هاجر بهدوء حزين : اللي تبيع نفسها مين يشتريها يا سارة؟ صمتت سارة لحظة استعادت فيها نفسها الطبيعي ، فاكلمت هاجر بحزن: مش عايزه أعرفك تاني.

ردت سارة بثبات : أنا وحمزة متجوزين عرفي .

هبت أميرة من علي سريرها لسماع تلك الكلمات ، ولطمت مكاسب خدها في حين تاهت دمعه في عيون هاجر وسقطت من عين سارة.

توقف الزمن لحظات ، قطعته أميرة: ليه عملتي في نفسك كده ، كلهم خاينين وملهمش أمان ، إنتِ مش معانا علي الكوكب؟ مكاسب: هو فيه واحدة عاقلة تعمل كده ، أنا هلم هدومي وامشي من هنا ، انا جايه اتعلم مش انحرف.

سارة : وإنتِ يا هاجر مش عايزه تسألني أنا عملت كده ليه؟

هربت هاجر بنظرها بعيداً ومازالت تلك الدمعه التائهة في عينيها.

وقفت ساره في وجه النافذة : ثقيلة ، ثقيلة أوي علي رأسهم ، ودني مابتسمعش غير كبرتي ، أخوكي عايز الشقة يتجوز فيها ومفيش عروسة هترضي تقعد مع أمه وأخته ، من يوم ما مات أبويا وأنا ماليش مكان في البيت ، كل تحركاتي سرقة ، مش بانام وقت ما أنا عايزة ، مش بأكل اللي بحبه ، ماليش حق أتفرج علي التلفزيون ، مش عارفه أعمل أي حاجه بحرية ، بانام مسجونة وبصحي زي اللي مقبوض عليها ، طول الوقت بيفكرونني إنني ماليش مكان ، ماليش حق أعمل أي حاجه بحرية.

عارفين يعني ايه حياتك تقف علي واحد يدفع فيكي عشان ياخذك تحافظي علي النوع؟

والنصيب ، النصيب مش عايز يجي ، فجبته بالعافيه ، ورطت حمزة في جوازه ، زي ما انتوا عارفين الحب مش ضمان لاصطياد عريس ، كان فرصة لازم اغتتمها ، شاب وسيم ، بيحبني ، وفوق ده كله غني وأهله بيعملوله اللي عايزه .

هاجر: حساباتك غلط ، إنتِ ورطتي نفسك وإنْتِ الوحيدة اللي هتدفعي التمن.

: حمزة بيحبني ومش ممكن بيعني.

مكاسب: ولما هو بيحبك ومقتدر زي ما بتقولي ما اتجوزكيش رسمي ليه؟

سارة: عشان بيسقط وأهله عايزينه ينجح وياخد الشهادة الأول.
أميرة: أبشرك ، أول ماهينجح هيخلع .

مكاسب: إنتِ غبية وجبانة ، هربتني من المشكلة بمشكلة أكبر ، كان لازم تواجهي أخوكي ، تقفي في وشه كمان وتدافعي عن مكانك في الشقة

سارة: أقف في وش أخويا أزاى ؟ ، إنتي بتتكلمي كلام عارفه إنه مش هيحصل .

دمعت هاجر: ياخسارة يا سارة ، يا الف خسارة بجد .

سارة: خلاص ، كلكم بقيتوا قضاة وبتحكموا في قضيتي ، علي العموم اللي علي البر شاطر ، دي مشكلتي وهاتحمل نتائجها لوحدي ، مش عايزه منكم غير السرية التامة وتحلفوا علي كده .

جاءت في إسدالها الفضفاض ، وحجابها المزين بحمرة خدودها ، وضعت حقائبها ورمت السلام .

مكاسب: إنتي جهاد مش كده؟

ابتسمت : ايوه أنا ، عرفتيني أزاى؟

: من كلام البنات عنك .

: لعله خير .

: خير طبعاً ، يقولوا إنك متدينه وبتاعة ربنا

ابتسمت علي استحياء : ماتعرفتش بيكي.

: مكاسب من سوهاج ، أولي صيدلة.

: ما شاء الله ، ربنا يوفقك.

: هيوفقني أزاي وأنا في الأوضه دي ، البنات مستهترين قوي
وما فيش مذاكره خالص.

: مالكيش دعوة باستهتارهم ، قدمي النصيحة بطريقة كويسه
وبعديها خليك في نفسك ، إنت جايه من قبلي لبحري
عشان تثبتي وجودك وتبقي دكتورة.

: ايوه أنا عايزه اثبت وجودي ، شجعيني والنبي ، مش
عايزه اخيب ظن أبويا فيا ده بيتفاخر بيا .

ترتدي فستاناً زهرياً طويلاً، تتحمل طولها لتتفادي نظرات
المشرفات لكنها لم تتنازل عن ضيقه لتحديد معالم جسدها
، تظلل جفونها بـ ” الايشادو ” الزهري ، ثم تكثف رموشها
بـ ” مسكرة ” زهري أيضاً ، فتلمع عيناها العسلياتان لمعة تحد
، تضع لون ” الروج ” هادئاً ، ليتناسب مع هدوء أعصابها
، وتترزين بأكسسواراتها المختلفة .

سألها سارة: ايه الشياكة دي كلها ، علي فين كده؟ قالت سارة
أميرة: مشوار مهم.

غمزت سارة بعينها: حضرة الظابط مش كده؟

أميرة: لا ، ده زحلقته من زمان ، حد خنيق وبيتحكم في تصرفاتي.
سارة: يبقي واحد مستجد.

أميرة: أبدا، ده الواد مينا بتاع علوم.

اختلفت الابتسامة من علي وجه سارة: مينا المسيحي؟ إنتِ
اتجننتي ، ده مايجزلكيش حتي.

أميرة: يعني إنتِ شوفتيني أتجوزته.

سارة: بتعملي في نفسك كده ليه؟ أزاى وصلت بيكي الحقارة
إنك تظبطي واحد مسيحي .

تخلت عن برودها: بقولك إيه ، إنتِ قولتي جملة حلوة
من كام يوم ، بلاش نبقي قضاة في مشاكل غيرنا ، ياريت
تطبقها، وان كان علي الحقارة يا ستي ، فدي فاكهة المجتمع
اللي احنا عايشين فيه.

تتحدث سارة بلين وتوسل :أنا صاحبتك ومن حقي أحذرك
وأخاف عليك ، ابعدي عن الدين ، دي أمور عواقبها سودا.

أميرة: إنتِ أوفر أوي علي فكرة ، محصلش حاجه لكل ده.

سارة: ماتضمنيش ايه اللي ممكن يحصل ، بلاش استهتار يا أميرة.
: اطمني ، أنا قلبي ميت ، لا هاحب ولا هاتجوز ولا هايضحك عليا.

★★★

أصبحت كعروسة الماريونيت يحركها كما يشاء ، حيث أسقطت كل معاملتها الرجالية ، فكل الرجال هو ، بل كل العلاقات هو ، حتي علاقتها بسارة قطعت أمثالا لأومره ، تهاتفه لتستأذن منه للخروج للجامعة ولا تخرج إلا بعد سماع موافقته ، تخلت عن حجابها وتمسكت برضاه ، سابحة في بحر مستحضرات التجميل ، وصولا لفتاة النادي التي نحتت في الذاكرة ، يعذبها ضميرها ولا تجرؤ علي التوبه ، كالشمس هو يحرقها إذا اقترب ويميتها إذا ابتعد ، كذلك تصم أذنيها عن ألحان اللوم التي تتصارع علي عزفها صديقاتها ، وتتمسك بسجنه. تستغربها جهاد التي لم تؤمن بالسحر إلا برؤيتها ، تحاول تقويمها بطريقة غير مباشرة، تسألها: عماد اللي قال لك تخلعي الحجاب يا هاجر؟

: لا ، بس حسيت انه هيبقي مبسوط.

: لازم تفتكري يا هاجر“ أن قلب من أحببت بيد من عصيت“.

أختنقت وضافت لخيبتها خيبة جديدة: قلت لك مش هو.

جهاد: ربنا يصلح لك الحال.

تتذكر صاحبة الوجه القبيح واليد الأبقح علي الأطلاق التي
دهست حياؤها بتلك الآله الحادة التي عزفت علي أنوثتها
لحن المذلة ، تتذكر كتم إحداهن لأنفسها لتحرمها من أبسط
حقوقها وهي الصراخ في وجه مجتمع يستأصل من جسدها
أرضا للتقاليد ، غير عابئ بذلك الألم الذي يزورها كل مساء
ولا بتلك الاضطربات النفسية التي تعاقدت علي الإقامة معاها
، أبدا لن تغفر لمجتمع يدفن أجزاءها وهي علي قيد الحياة ،
مجتمع يقتصر العفة في ختانها ، ويرى في انكسارها نجاة ،
فتنكسر وينكسر كل جميل .

أفاقت من ذكرياتها المؤلمة علي صوت أميرة مازحة : اللي
واخذ عقلك يا مكاسب.

فاجأتها: انا عايزه أحب يا أميرة.

أطلقت أميرة ضحكتها الرنانة لتملأ السماء : يخرب بيتك ،
ما إنت صايعه اهو ، أمال ايه الشويتين بتوع جايه أتعلم
وأبويا يفتخر بيا ، ومش عايزه انحرف.

:إنتِ ليه الحب عندك إنحراف ؟ ، الحب الحاجه الوحيدة اللي
بتخليكي تتغلبي علي المصاعب أو تعيشيها برضا ، وتتمسكي
بالحياة اللي كل يوم بتطردنا براها وتستنني عشانه بكره.

أميرة: بس ، أنتِ شكلك متفرجه علي فيلم عربي وقتي ،
وبعدين حب إيه بلبسك ده ، تقدري تقوليلي مين هيصلك

بعباية ستي اللي لابساها دي ولا حواجبك اللي عاملين زي
قطرين دخلوا في بعض ، شكلك مش معانا علي الكوكب .

مكاسب : مش بالشكل علي فكرة ، المهم الجوهر والجمال الداخلي .

أميرة : لا بالشكل ، لأن الحياة مظاهر والشكل الداخلي ما حدش
هيشوفه الا لما يبص بصة علي الجمال الخارجي ، زي المحشي كده لو
مش ملفوف كويس وشكله حلو ، محدش هياكله مهما كان طعمه .

مكاسب : محشي إيه ، بقولك عايزه أحب

وقعت جملتها علي أذن سارة العائدة من الخارج ، فعلقت ساخرة :
معقول مكاسب عايزة تحب ، لحقتي تنبهري بأضواء المدينة .

مكاسب بعصبية : إيه يا جماعة ، هو أنا مش بشر وعندي قلب؟! .

سارة : ماقلناش حاجه ، بس أول حاجه الحب مش قرار ،
يعني مش تصحي الصبح تقولي عايزه أحب تلاقي نفسك
بتحبي ، الحب رزق ، تاني حاجه وأهم حاجه تبعدي
عن طريق أميرة ، اديكي شوفتي عملت إيه في هاجر .

أميرة : يا سلام ، طب ما انتي بعدتي عن طريقي اهو ، ومع
ذلك محدش خسر زيك ، علي الأقل أحنا منقصناش حاجه .

جلد الكلام سارة كجلدة كرباج تقوس ظهرها من شدة ألمها
، لملت صوتها وبحثت عن كلمات لتدافع بها عن نفسها .

: لا نقصتوا يا أميرة ، انتي وهاجر روحكم كل يوم بتنقص

حته ، ونقص الروح أصعب بكثير من نقص الجسد .
تدخلت مكاسب منزعة : يا جماعة خسارة ، مكسب ، أنا
عايزه أجربه ، مش عايزه العمر يتحسب عليا من غير ما
اعيشه ، عايزه أغلط عشان اتعلم الصح ، وعايزه اتعلم الصح عشان
اعلمه اللي حواليا ، نفسي أثر وأتأثر مش عارفه أبقى رقم .

رفع أذان الفجر ، فارتفعت روحها تحلق عاليا في السماء مستمتعة
بنسمات الهواء الهادئة ، وبصوت الكروان الذي بدا لها وكأنه
يردد الأذان ، استردت روحها الهائلة واستعدت لمسلسل ”يقاظ
الغرفة للصلاة“ وهو أمر لا يقل صعوبة عن إيقاظ ضماير حكام
العرب ، فكل منهما لا يستيقظ إلا بثورة علي ما يرقدان عليه ،
بدأت بفراش أميرة ، رفعت عنها الغطاء ، فوجدتها تتحدث في
الهاتف بصوت لا يصل إلي وسادتها ، تاففت أميرة ، فاعتذرت
علي استحياء : آسفه ، افكرتك نايمه ، صلاة الفجر أثابكم الله .
ردت بضجر : أوك يا جهاد ، روحي وأنا جايه وراكي .

اقتربت من هاجر النائمة مع أهل الكهف مسحت علي
شعرها ، ومسكت بيدها : قومي نصلي الفجر جماعة يا هاجر ،
فتحت عينيها نصف فتحة ثم غطت وجهها وأكملت نومها ،
أما سارة كانت علي غير العادة ، فدائما ما لديها عذر
يمنعها من الصلاة أما اليوم استجابت علي الفور عليها تجد

في صلاتها سبيلا للتخلص من قلقها المفرط وضيقها بعد كلام
أميرة الذي جلدتها به .

أما مكاسب فبمجرد نطق اسمها تهب مذعورة: أمي جرالها حاجه؟
تبتسم جهاد: لا ، بعد الشر ، قومي صلي الفجر .

بلامبالاه: طيب، تستعطفها جهاد: صلاة الفجر خير من
الدنيا وما فيها، وقبل إتمام الجملة ، تعود مكاسب لنومها
عازفه لأقوي ألحان ” الشيخير“
في النهاية لم يقمن إلي الصلاة إلا تحت تهديد المياه المثلجة .

ابتلت سجادة الصلاة بدموع سارة بعد سماع جهاد تتلو قوله ” يدخل
من يشاء في رحمته والظالمين أعد لهم عذابا أليما“ صدق الله العظيم
انتهت الصلاة ، وذهبن لاستكمال نومهن عدا جهاد التي تسبح
للّه وتتمتم بذكره ، اتبعتهما مكاسب: ممكن اسالك سؤال يا جهاد؟
:اتفضلي .

: هو الحب حلال ولا حرام؟

: ديننا دين حب ، وسيدنا النبي حب واتحب .

: عليه السلام ، أقصد حب الراجل والست وكده يعني .

: ربنا وضع في قلوبنا الحب والإنجذاب للطرف الآخر لتستمر

الحياة و الحب شئى مقدس بيمس الروح لا الجسد ، المهم
مانحللش الحرام ونرتكب الذنوب باسمه .
تهلل وجه مكاسب ، شكرتها وزهبت.

مكاسب: تليفونك رن لحد ما فصل شحن يا أميرة.
أميرة: سيبك منه ، ده حسين الحساس.

مكاسب : يعني إيه؟

تركت أميرة المكواة من يدها : واحد كده بيلزق شعره بفازلين
ومرهف الحس ، مابيعملش حاجه غير انه يكتب شعر في
عنايا ويقلك ” طوبي لمن نال منهما نظرة“ وأنا في سري
بأقول: طوبه في دماغك يا بعيد.

علا صوتهن بالضحك عدا هاجر التي نظرت لها بطرف عينيها
أميرة: بلاش البصه دي يا هاجر.

هاجر: بلاش إنت تحفلي علي مشاعر إنسان كل ذنبه انه حبك.
أميرة: أسأل مجرب يعني؟

صمتت هاجر وتاهت في عينيها دمة عزا عليها السقوط .

تدخلت سارة: بقيتي قليلة الذوق أوي يا أميرة وكلامك بقي ناشف.

أميرة: وإنّ لسه بتدافعي عن هاجر اللي باعتك بكلمة من عماد.
نظرت سارة لهاجر نظرة عتاب ثم ساد صمت قطعته مكاسب:
والنبي تردي عليه يا أميرة عايزه أسمع هيقول إيه.

: آلو، إزيك ياعصام ، أمي عامله إيه؟

: ازيك يا سارة ، كلنا بخير، باقول لك لازم تنزلي الخميس
الجاي ، عايزك ضروري.

بحثت عن صوتها لتتلق بكلمة ” حاضر“ ثم استجمعت قواها
متسائلة: هو فيه حاجه ؟

: مش هينفع أقول لك في التليفون ، لما تيجي.

أغلقت هاتفها لتفتح حلقة متواصلة من اللطم والولولة : يا
خرابي ، أكيد عصام أخويا عرف حاجه ، يا مصيبتني عايزني في
إيه ، ده عمره ما اتصل عليا، أكيد الزفت عماد قاله حاجه .

صبرتها أميرة: اهدي ياسارة ، هو عماد هيعرف عصام أخوكي منين ؟

سارة: إنتي ناسيه إن هاجر بنت بلدي وصاحبة عمري زي
الخاتم في إيده، هو حطني في دماغه مش كفايه خلاها تقاطعني ،
لا ده عايز يقطع رقبتني خالص ، بس أنا مش هسكتله.

أميرة: عماد أجبن من كده ومايقدرش يعمل حركة زي دي

وعشان تتطمئني أنا هاتصل عليه وأعرف منه ، وبالمرة اقول له تتصالحوا إنتِ وهاجر عشان مدايقه أوي من غيرك.

لم تستطع الإنتظار ليوم الخميس ، فبينها وبينه ثلاثة أيام ، طلبت تصريحاً من المدينة لتسافر في نفس اليوم متحججة بمرض أمها ، لكن خذلتها القوانين التي تشترط مجئ أحد أقارب الدرجة الأولى لأخذها ، احترقت بنار الإنتظار متحملة لدغات عقارب الساعة مقطوعة الأرجل حتي جاء فجر الخميس ، جرجرت حقيبة سفرها ولم تنتبه بأنها فارغة ، استوقفتها هاجر: استني انا جايه معاكي.

سارة : مش عايزه اعمل لك مشاكل.

: مش هاسيبك تسافري لوحداك وانتي كده.

لم يتبق في الغرفة سوي أميرة ومكاسب بعد سفرهما وسفر جهاد التي لا تقيم أسبوعا كاملا في الغرفة .

استعدت أميرة للخروج ، فأمسكت بها مكاسب: خديني معاكي ، مش هاقعد لوحدي.

اميرة: أخذك معايا فين ، أنا خارجه مع ولاد صحابي.

مكاسب: بالله عليكى يا أميرة ، أنا مخنوقة ومكتئبة ونفسي
أخرج معاكى.

أميرة: تخرجى معايا بشكلك ده ، مستحيل ، د إنتِ تجيبى
برستيجى الأرض.

مكاسب : طب والله العظيم لو ما اخدتينى ما هاغسل طبق
واحد لآخر السنة.

أميرة: خلاص يا فقر هاخذك ، بس سيبيلى نفسك خالص ،
ومش عايزه اسمع صوتك .

تحسس مسدسه بنظرة حملت شر أهل الأرض جميعا:
بتفضحينى وتتجوزى عرقى يا سارة؟

ارتعشت وضاع صوتها : أنتوا السبب ، أنتوا ال...

وقبل إتمام جملتها ، صوب رصاصته نحوها لتصفى رأسها .

استيقظت صارخه فالتفت الركاب ، ربتت هاجر على يدها :
خير ياسارة ، مالك؟

: كابوس فظيع .

: طب اشربى واهدى ما فيش حاجه.

لم تشرب ولم تهدأ ، القطار يبدو بطيئاً جدا وكأنه يسير فوق

رؤوس الناس ، ووجه عصام يطاردها في كل وجوه الركاب ،
وهي تنتظر العقاب ، كم هو مؤلم انتظار العقاب؟

ايه اللي عملوه لي في الطرحه ده يا أميرة ، ملفوفة حولين
رقبتي هتخنقني ، قلت لك أكوي شعري وآجي بيه .
أميرة : تكوي إيه ، شعرك مش عايز مكواه ، ده عايز عربيه
نص نقل تروح وتيجي عليه وبرضه مش هيتفرد ، وبعدين
إيه حزام الهكسوس اللي حطاه في وسطك ده يا مكاسب ،
مش قلت لك ماتحطهوش
مكاسب : خفت بنظلونك يسقط مني ، مش شايفه واسع إزاي .

وصلت للبيت بعيون زائغة ونبضات قلب تتقاتل من أجل
الخروج ، وقبل أن تضع حقيبتها : خير يا ماما ، في إيه؟
رحبت بها الأم علي غير العادة ، ارتبكت أكثر ، فكررت
سؤالها : خير يا ماما؟

الأم : صبرتي وربنا عوض صبرك خير ، جاي لك عريس .

جلست مهزوزة ، مرتبكة ، فلم يسبق لها الجلوس بالقرب من رجل علي مقعد واحد غير أبيها وسائق المكروباص ، تستخدم الكلمات في غير موضعها فتتطاير عليها الضحكات ، حيث قال أحدهم : ما تيجي معانا رحلة شرم يا أنسه مكاسب؟ فردت منزعجة : رحلة ، يا لهوي ده كان أبويا يطير ورايا .

أحدهم : يطير وراكي ، ليه باباكي غراب .

ابتلعت إهانتها ، ولا تلوم غير نفسها ، هربت للصمت والإنصات لحديثهم ، فتبهر لكلماتهم حيناً وتنفر منها أحياناً . زاد توترها بحضور فخامة سمو الشوكة والسكينة وتلك الدائرة اللعينة التي تدعي ” بيتزا“ فلا تراها إلا بقايا طعام زائد ، طالتها الحيرة ، حاولت أن تستغيث بأميرة المنهمكة بتسبيل عينيها ورمي شبكها علي كل من خط شنبه ، وإن كانت محسوبه علي ممدوح صديقهم ، أنقذها أحدهم حيث قام بتقطيع البيتزا وتقديمها لها ، أخذتها بيد مضطربة ، دون أن ترفع نظرها للفاعل ، عاتبها بمزاح : مفيش شكرا؟! تعثرت الكلمة في حنجرتها فخرجت متقطعة بالكاد تصل إلي مسمعه . ابتسم متعجباً : إنتي منين في الصعيد يا أنسه مكاسب؟! .

: من سوهاج .

: أجدع ناس ، أتفضلي كملي أكلك .

لم تضع شيئاً في فمها سوى شربة ماء ، حيث خيل لها بان العيون لا تفعل شيئاً سوى مراقبة طريققتها في الأكل ويسيخرون منها ، فأخذت تقلب في البيتزا ، تاخذ من أولها لتضع في آخرها حتي انتهوا من طعامهم .

قدم لها نفس الفاعل كوب عصير ، فتلاقت الأعين في خجل صامت ، حاولت التخلص منه بعلو صوتها في كلمة ” شكرا “ الثانية التي كادت أن تصل إلي مسمع رجل أمن النادي من توترها ، انتبهت لها أميرة فغمزت بعينيها : يوسف له معارف كثير في الصعيد يا مكاسب ، لو عايزه حاجه من هناك .
يوسف : الصعايده كلهم حبيينا كفايه أخلاقهم .

زادت ضربات قلبها وانطلق خيالها لمشهد زفافها علي يوسف وهو في بذلته السوداء ممسكا ببوكيه ورد يقدمه لها كما فعل بكوب العصير ، قطعت عليها أحلامها ، أميرة التي استأذنت متذكرة موعداً آخر ، استجابت لطلبها علي مضض وفي سرها تكيل لها اللعنات .

مد يوسف لها يده بالسلام واختصها بكارت : دي أرقامي ، لو احتجتي حاجه كلميني ، ولو ما احتجتيش برضه كلميني ، أبتسم ، فابتسمت علي استحياء وهزت رأسها .

فقال : خدي بالك من نفسك .

: حاضر ، قالتها علي جزئين .

وقع عليها كوكب من السماء بوقوع كلمة "عريس" علي أذنها ، تلك الكلمة التي سهرت ليالي تتضرع لله من أجلها ، وسقطت في شرك الشعوذة والدجل منصاعة لطرق نصبهم الساذجة .

"عريس" ، تلك التي جاءت في وقت غيرها ، كصلاة عصر جاءت قبل صلاة الظهر ، فلا يجوز صلاتها ولا يجوز تركها .

ضاق من حولها الكون ، فلم تجد فيه ركنا لتمارس حقها في البكاء جهرا ، أو لتعاتب الوقت علي تعنده معاها ، "الوقت ذلك الترس الأكثر فاعليه في عجلة الحياة ، والأكثر تهميشا منا" فالوقت كالصحة لا نعرف قيمتها إلا إذا أعطت ظهرها لنا وولت ، لاحظت الأم شرودها وتغيرها فقالت : مالك يا سارة ، مش فرحانه ليه ، أنا قلت أول ما تسمعي كلمة عريس هتضربي زغروطة .

تململت مضطربه ، محاولة أن تمتلك أعصابها ، فتتهتت : لا ابداء ، أصل أنا ، سقطت في مادة و... ، قاطعتها الأم : ولا تزعلي نفسك ، هتبقي في عهدة راجل ، يصرف عليك ويهنيكي ، بطلي تقل بقي .

لم تكن المرة الأولى لشعورها بالقهر ، لكنها الأكثر علي الإطلاق ، تتحدث لنفسها : مش بيقولوا قلب الأم بيحس بوجع وقهر أولادها ، ياتري يا أمي حاسه بيا ولا زحمة الحياة مخلتش مكان للإحساس؟

دخل عصام بشاربه الرفيع وصوته الغليظ ، مشتركا مع سارة

في قامتها الطويلة وشعرها الكستنائي ، منفردا بأسنانه الصفراء
من أثر السجائر : مبروك يا سارة ، وقعتي واقفة ، عريس
بيسافر السعوديه وعلي قلبه شئ وشويات .

سارة: ممكن أطلب منك طلب يا عصام؟

: عايزه إيه تاني ، أنا اديت رسالتي معاكي كده.

تغاضت عن رده : ممكن نأجل موضوع الجواز شويه لحد ما
الترم يخلص؟

رفع صوته : نأجل ، نأجل إيه ، إنتِ عايزه حد يخطفه منك
ولا إيه ، البنات مرميه في كل حته ومحدث لاقى وده جيبه
عمران وجاهز ، أوعي يابت تكوني مش موافقه؟!

: لا موافقه ، بس مش عايزه جواز دلوقت ممكن خطوبة ،
ويسافر ويرجع نتجوز علي طول.

: طول عمرك فقيرة ورزقك مقصر.

لمح تلك الدمعه الحبيسة في عينيها فتكلم بلين: أنا كملت
الاربعين يا هاجر ،وعلاج أمك مش مخلي علي قلبي الميه.
هزت رأسها بحسرة.

تغمض عينيها محتضنة الدبدوب وتسافر مع الكلمات في رحلة اللاوعي، ” خليك معايا، خليك معايا يا حبيبي مهما كان ، يا حلم عمري اللي في خيالي من زمان ، عرف أنت أجمل حاجه تفرح الواحد هي ايه، إن اللي ياما حلمت بيه تلاقيه حقيقة، وأنا عشت بحلم باللحظة دي وده اللي بادور عليه ، أنا اسيب حياتي ودنياي ولا إنني اسيبك“ افسدت أميرة رحلتها عندما أطففت الأغنية ساخرة: الهضبة وسرحان ، إنتي سخنه ولا إيه يا مكاسب؟

: والسخن بيسمع عمرو دياب يارخمة؟

: طب ايه ، استبشر خير؟

هزت مكاسب رأسها : استبشري .

أميرة : مين البطل ياتري؟

مكاسب : يوسف .

أميرة: يوسف مين؟

مكاسب: يوسف صاحب ممدوح .

أميرة: ممدوح مين؟

مكاسب: يخرب بيتك ، يوسف وممدوح اللي خرجنا معاهم امبارح؟

ضحكت أميرة: يخرب بيتك إنتي ياشيخه ، تعرفيه امبارح

وتحبيه النهاردة، انتي مابتضعيش وقت خالص؟

مكاسب: الموضوع مش موضوع وقت، فيه ناس بتبقي في بالك من قبل ما تشوفيهما، ومجرد ماتشوفيهما ماينفعش تسببها ، من أول طله كده ، تحببها.

أميرة: اللي إنتي فيه ده مش حب يا مكاسب ، ده احتياج ، يعني محتاجه حد يسد الفراغ اللي جواكي .

مكاسب: الاحتياج ركن من أركان الحب، وطبيعي إنك تحتاجي للشخص اللي بتحبيه.

أميرة: اديكي قلتي ركن ، يعني مش كل الحب احتياج ، لأنك مجرد ماتسدي احتياجك هتلاقي نفسك زهقتي وترجعني تدوري علي الحب من تاني.

مكاسب: صدقني يا أميرة ، مش بس احتياج ، يوسف ده نسخة من فتى أحلامي ، حاسه إننا متوافقين وبين كيميا

أميرة: كيميا وتوافق إيه يامجنونة ، دي كلها نص ساعة يتيمة قعدتيةا معاه ، قضيتي منهم ٢٨ دقيقة في الكحة والحممة،واللي زي يوسف ده مش بتاع حب ، وانتي مش في دماغه اصلا ، ده لو شافك تاني مش هيعرفك.

مكاسب: مشكلتك يا أميرة أنك مابتعرفيش تحبي وفاكره الناس كلها زيك.

أميرة: وإنّ مشكلتك أنك ساذجه ، ومش عايزه حد يوعيكى ، بس ابقى افتكري كلامي .

تركتها الحيرة تأكل قلبها ، فقررت أن تطفى نارها ، مسكت بكارث يوسف تتأمله ، قرأت اسمه عدة مرات ، وفي كل مرة تستحضر وسامته المغلفة بالهدوء ونظرته المزيّنة بالحياء ، تعيد سماع كلماته التي نفذت لقلبها ” خدي بالك من نفسك ” تبتسم مردده ” حاضر ” ، زحفت يدها علي الهاتف لتطلب رقمه ، تسارعت دقات قلبها لوصول جرس الرنين إليه ، اتاها صوته بعد الجرس الأول مباشرة : الو القت بالهاتف علي السرير .

كررها: آلو، آلو، مين معايا؟

خشيت أن يغلق الهاتف ، فتماسكت قائلة: آلو، أستاذ يوسف الشرقاوي؟

: أيوه أنا، مين بيتكلم ؟

: مكاسب .

: مكاسب مين؟

خيب أمالها بسؤاله حيث توهمت أنه ينتظر مكالماتها ، ابتلعت ريقها بضيق : أنا مكاسب صاحبة أميرة .

: أميرة مين؟

أغلقت هاتفها وقلبها معا ، لتللم أحلامها المحطمة وتبكي

بحرقه ، لاعنة سذاجتها وقسوتهم.

★★★

عادت بحقيبتها الفارغة ممتلئة بالدموع ، تتلقي سهام اللوم والتأنيب متطلعة لوجود حل عند إحداهن ، أشارت عليها هاجر: صارحيه بكل حاجه يا سارة ، وضحيله إليه موقفك صعب ، دي مش مشكلتك لوحدك ، هو الراجل ولازم يتحرك وياخذ خطوة ويخطبك ، مش بتقولي أنه بيحبك؟ وافقتها الرأي مكاسب: صح لازم تصارحيه ممكن يوقف جمبك ، مش بتقولي إنه شاربيكي؟

رفعت سارة رأسها لتكشف عن عينين ككاسات الدم ، تكحلوا بالسهر ووجه بائس : صعب ، لإننا متفقين إن مافيش ارتباط رسمي غير بعد الجامعة.

هاجر: لكن جد في الأمور أمور ، لازم يكون كد المسؤولية ، هسيبك تغرقي يعني!؟

مكاسب: خلاص ، ارفضى العريس الجديد واتمسكي بحقك في الشقة.

سارة: مش هينفع.

تخلت أميره عن صمتها وتكلمت ، وعندما تتكلم أميرة يصمت إبليس ليتعلم منها : إنتِ في مشكلة كبيرة يا سارة ، وهي إنك

متجوزة وجايلك عريس معندكيش القدرة علي رفضه ، وماينف عش
تروحي لحمزة وتقويله جملة التدبيس الشهيرة ” جايلي عريس“
لأن ممكن يطلع ندل ويزحلقك بجملة الزحلقة الشهيرة ” إنت
تستاھلي حد أحسن مني“ وبكده تبقي أخذتي مقلب العمر و...
تقاطعھا سارة بضيق : لو عندك جملة مفيدة قولیھا.

: المفید بقي ، إنك تروحي بوشك البائس ده وعنيكي الحمرا
دي وتقولي لحمزة : إنك حامل.

فزعت مكاسب : يانھارك أسود ، إنت أتجننتي ، عايزه
المشكلة تبقي اتنين؟

أميرة : بالعكس ده الحل الوحيد للمشكلة ، حتي لو حمزة
مش بيحبھا ، هيخاف علي نفسه من المشاكل ، ده حد
خواف جدا ، لأمواخذة يا سارة.

سارة : طب أفرض قال لي نزلي الحمل.

أميرة : هتقولي له إنك حاولتي ومانف عش ، بس أهم حاجه
تحسسيه إنك وراكي رجاله يعرفوا يجيبوا حقك .

تبتسم سارة بحزن : رجاله ؟ تقصدي عصام اللي عايز يرميني
لأي كلب عشان ياخذ الشقة ، ولا نسيتي إنني يتيمة ، ايد
اتمدت بكل قسوة أخذت السند اللي مسنودة عليه ، فووقت
زهري انكسر ومحتاجه لمعجزة عشان أقوم.

تمسح دموعها في كمها: عارفين يا بنات ، اليتم ده بيخليكي زي البالونة أقل حاجه تفرقعك.

ربتت أميرة علي شعرها قائلة : اليتم الحقيقي أن والديكي يبقوا عايشين وبيأذوكي .

وبحرقه ودمعة قالت: طب والله أنا بحسدك علي اليتم ده.

صمت الجميع متعجبين ، لأول مرة تتحدث أميرة بوجع ، فداثما ما تتحدث عن الوجع الذي تسببه لضحاياها.

وقفت مكاسب ، وزعت نظرها عليهن: إنتوا ليه موقفين حياتكم علي الرجاله ، احنا كيان لوحدنا ، أحنا نقدر نحقق نفسنا بعيد عنهم ، بلاش نخليهم السبب في وجعنا.

عادت اميرة لسخريتها: والنبي بلاش إنتي يا مكاسب ، عشان مجرد ما واحد قالك ” خدي بالك من نفسك ” ركبتني جناحين ورفرفتي في الفضاء.

ابتسموا ، أو حاولوا أن يبتسموا.

لم تكن الأولي في حياته ، لكنها الأخيرة، هكذا قال ، فلا داعي للعتاب أو الخصام ، مطالباً بإعدام الغيرة.

تكذب نفسها وتصدقها ولكن تتساءل : هل يكون الحب بدون

عتاب وخصام؟

تتذكر إجابته : هناك حب يرهقه العتاب ويزهقه الخصام .

تردد في سرها: مؤكد أنه حب لا عماد له ، ولكن كل الحب لعماد ، ولا حيلة في الحب.

تتذكر ردها عليه : الحب بدون عتاب وخصام كال مياه الراكدة لا حركة فيها ولا شكل ، ولكن لابد أن يكونا في موضعهما ، فعندما تغيب بالسبعة أيام دون وجود عذر قوي ، فلا بد من وجود العتاب ويتبعه الخصام إن ثبتت عليك تهمة الغياب متعمدا .
رد ساخرا: هو فيه عذر أقوى من أنك ميبقاش معاكي خمسه جنية تنزلي بيها الشارع.

جاء رده صادما لها ، فوضعت نظرها في الأرض آسفة.

: شوفتي صعبت عليكي ازاي ، وأحتمال تكرمشي عشرين جنية في ايدي صدقة.

واسته بعيونها قبل لسانها : بكره هنتعدل صدقني.

:أنهي بكره ياهاجر، أنا بقالي ثلاث سنين مخلص كلية علوم ومش عارف اشتغل بشهادتي ، نفسي اتخلص من نظرة الاحتمار اللي في عيون الناس وأنا بتاع سمك ريحته وحشه ولا وأنا كاشير بيبيعوا فيه ويشتروا.

: صدقني هنتعدل أنا سمعت جمال مبارك بيتكلم عن مشاريع

استثمار كثير هتحل مشكلة البطالة .

: بيتكلموا بس لكن ما فيش فعل، أنا عايز أسافر ، ماليش مكان في البلد دي.

تتشبث في ثيابه : لا ، أرجوك أنا ما اقدرش أعيش من غيرك لحظة.

روت حديثه لأميرة متأثرة، فردت عليها: هو عماد كده ساعة مايبقي معاه قرشين يصرفهم علي الصرمحة وأول ما يفلس يعيش في الصعبنيات، وبعدين جاي يشكي لك إنتِ ليه؟ شايفك وزيرة القوي العاملة، ولا عايز يقلبك في قرشين.

هاجر: إيها اللي بتقوليه ده ، حرام عليكى ، أولا أنا اللي سألته عن غيابه ، ثانيا هو عمره ما طلب مني فلوس ولا يسمح اعرض عليه حاجه زي كده ، ده ممكن يسبني فيها .

أميرة: والله ما عارفه متمسكه بيه علي إيه ، ده حتي البنات مابتحبش الراجل المفلس ولا النكدى.

هاجر: ده طيب جدا والله يابنتي ، بس هي ملطشه معاه.

أميرة: ياسلام ماهي ملطشه مع شباب مصر كلها بس بيعافروا ويجيبوا هدايا كمان ، وماسمعناش عن حد عيط لحبيبته بانه

محبوس في البيت عشان معهوش خمسه جنيه ينزل بيها الشارع .
هاجر : تصدقي أنا اللي غلطانه إني حكيتلك ، ثم تقذفها بالوسادة.

★★★

انشطرت صورتها في المرآة كما تنشطر صورة القمر ، عندما
تلقني حجرا في الماء ليلا ، كل شئ يبدو منشطرا ، والدموع
لا تمح الانشطار ، تصم أذنيها كي لا يصل إليها صوت ام
حمزة الذي ظل يطاردها بكلمات ليس كالكلمات ”مومس ،
خدريك قرشين ،“ تضرب راسها في الحائط ، عليها تخرج
منها العقارب التي لا تكف عن نهشها ، حتي سال دمها ،
أغرته زجاجة مبيد حشري في ركن الغرفة ، فكرت في شربها
، عليها تجد في موتها راحة ، ولكن أي راحة مع الكفر؟
تراجعت ، فخصائرها الدنيوية تكفي ، جلست علي الأرض تشد
خصلات شعرها ، معاتبة الدنيا التي تبخل عليها حتي في الموت.
مدت لها جهاد يدها : قومي يا سارة ، فكتك عند الكريم ،
أرجعي له

: أرجعله بأي عين؟

: بعين التوبة.

: هيقليني؟

: رحمته أكبر من ذنبك ، صلي ركعتين حاجه قبل صلاة
الفجر وتعالى عشان نصحي الجثث اللي نايمه دي .
مشيرة بيدها علي هاجر ومكاسب وأميرة .

جففت دموعها وهزات رأسها بالموافقة.

جلست جهاد في إحدي كافتريات الجامعة مع هاجر وأميرة
اللتين ظلتا تسخران من الذاهب والعائد ، ولم يسلم أحد من
سخريتهما ، فتقول أميرة: بصي ده بتاع سنة اولي عامل
تسريحة سعيد صالح وفاكر نفسه اشيك واحد في الجامعة ،
ترد هاجر: ولا ده اللي لابس دسته دبل زي سواقين التكاتك
، فتضحكان بملء فمهما ، تنهرهما جهاد : كفايه يابنات
حرام عليكم ، ” لا يسخر قوم من قوم“.

أميرة: احنا بنهزر ، خلينا نك شوبيه.

جهاد: ماتهزروش في أعراض الناس ، أنا خايفه عليكم ، فيه
سورتين في القران بدأوا بالويل ، ”ويل للمطففين“ ”ويل لكل
همزة لمزة“ ، الأولي في أموال الناس ، والثانيه في أعراضهم.

هاجر: ماتكبريش الموضوع كده يا جهاد ، ده هزار مالوش
علاقة بالأعراض ، المهم بصوا مين واقف هناك؟

تلتفت أميرة حولها : مين؟

هاجر : إيمان مطواه ، ضاربه شعرها أحمر ، يع عليها ،
مش قالت مش جايه تاني؟

جهاد متعجبية: مطواه ! ، اسمها كده ؟

تضحك أميرة : لا يا بنتي ، احنا مسمينها كده عشان وشها
علي هيئة مطواه.

تسحب جهاد مقعدها مستغفرة : إنتوا بتسخرؤا من خلقة
ربنا وتتنابذوا بالألقاب وتقولوا هزار ، دي مش أخلاق الإسلام
أبدا ، أنا ماشيه.

تستوقفها أميرة : استني بس ، عبير جميزة جايه دلوقتي
وهتظبطنا في مذكرة الامتحان .

تضحك هاجر حتي تدمع عيناها ، وتذهب جهاد طالبه لهم
العفو والمغفرة .

استكمالا مزاحهما ، حتي مر أمامها طالب وسيم ، وأنيق
حد لفت الانتباه ، لا ينقصه سوي قدمه الأيسر التي عوضها
بإحدي أجهزة التعويض ، وقف علي بعد منهما ملقيا نظرة
طويلة علي أميرة التي لاحظته ، فرمت له ابتسامة مغلقة
بشرار عينيها ، قابلها بأخري من الأذن للأذن ، لاحظتهما
هاجر فلكرتها : يخرب بيتك ، إنتش مش عاتقه ؟

أميرة: يا ستي أدينا بنتسلي.

هاجر: الجامعه كلها مش مقضياكي تسليه ؟ انتي مظبطه
الجامعه كلها ، فبلاش عمرو ده .

أميرة : ليه ؟ كان عمرو بن العاص ، كلهم نفس القطعية .

هاجر: لا ياخيففة ، اللي زي عمرو بيبقوا حساسين أوي ،
فبلاش تتسببي في جرح قلبه جمب جرح إعاقته .

أميرة: حساس إيه يا عبيطة ، ده بيتاجر بإعاقته في كل حاجه
، حتي في الحب ، كل شويه

قاطعها صوت مكاسب الآتيه من بعيد : الحقوا يابنات تعالوا
شوفوا إيه اللي بيحصل لسارة عند مدرج ٥ .

قالا بصوت واحد يملؤه الفزع : مالها ساره ، خير؟

مكاسب : تعالوا شوفوا بنفسكم ، قالته وجرت ، فجرؤا خلفها
ليروا حمزة ممسك ب ”بانر“ كبير مرسوم علي جانبه صورة
بالألوان لسارة ، وفي منتصفه مكتوب الآتي :

إلي تؤم الروح

ووحيدة القلب ”سارة“

قبلك كنت رجلا من فراغ ، متشابهة ايامه ، مبعثرة أحلامه
لا يعرف للفرح طريق .

فحضرت لتملئ روعي الفارغة ، وتدلينني علي روعي التائهة

شاركنتني أنفاسي ، فأردت أن أشارك الحياة

تتجوزيني؟

حمزة

★★★

بكت سارة من فرحتها ، وتبادلات الأحضان مع صديقاتها ،
فالتف حولها طلاب الكلية يصفقون ويصرخون ، فحضر
أمن الجامعة بشكوي من أحد أستاذة الجامعة الذين
يحتقرون تصرفات العشاق ويرونها منافية لشرقياتهم ، بل
ومضرة للمجتمع ، المجتمع الذي يخجل من الحب ويتباهي
بالعنف ، فرقوا الطلاب ، وأمسكوا بحمزة كأنه متهم وقدموه
لإدارة الكلية للتحقيق معه ومن ثم فصله لمدة عام كامل .
ذهب الطلاب وهم ساخطين علي الجامعة وعلي المجتمع ،
فكثيرا ما شاهدت ساحة الكلية مشاجرات بين الطلاب ، ،
يحلونها بشكل ودي ، ولم يسمعوا عن فصل طالب واحد .
حقا مجتمع يغذي العنف .

سخط الطلاب ولم يسخط حمزة ، فهو في كل حالاته راسب ،
فعامه بعامين ، إن لم يكن بثلاثة ، كذلك سارة التي فاقت
فرحتها بإنصاف حمزة لها وعدم خذلانها ، علي سخطها علي
رسوبه أو علي مجتمع لا يوقر الحب .

تقلب مكاسب في صفحات كتابها هباء متسائلة: تفتكري يا أميرة ، ايه اللي خلي أم حمزة توافق علي سارة بعد ماهزقتها وهددت إنها ممكن تسجنها وطردتها ؟

تنفخ أميرة في أظافرها كي يجف ” المونكير“ الذي وضعته بتركيز وحرص شديدين وبصوت منخفض قالت: أصل حمزة حاول ينتحر وقطع شربينه ولحقوه بالعافيه ، فمامته استسلمت للأمر الواقع .
مكاسب : حمزة ولد خرع ومستهتر مش كد مسؤوليات ، سارة خسارة فيه .

أميرة: ياستي كفايه أنه ماأتخلص عنها ووفي بوعدده معاها .

مكاسب: تفتكري أخو سارة هيوافق علي حمزة اللي لسه طالب ويسيب العريس الجاهز ؟

أميرة: أخو سارة أهم حاجه عنده أنها تتجوز بسرعة ، وحمزة واهله فاكرين سارة حامل وبالتالي هيعجلوا بالجوازة .

مكاسب : ياخبر ، دي سارة هترخص اوي عندهم

أميرة: اللي يرخص علي أهله ما يغلاش علي حد يا مكاسب .

★★★

تتوهم حديثه وهو يعرض عليها الزواج ممسكا بـ “ بانر” كما فعل حمزة لسارة ، زواج لم يتفوه بتلك الكلمة ولو علي سبيل

المزاح طوال فترة حبهما ، دوما يغرقها في سيل من الكلمات المعسولة ، فيسجنها في ماضيه ، مستمتعا بحاضرها ، دون النظر لمستقبلها أو بالأحرى مستقبلهما ، مما يشعرها بعدم الأمان ، و الإحساس بعدم الأمان مع من تحب كركوبك للقطار لا تعرف محطات وقوفه ، فينغص عليك الوقت سؤال عقيم ، هل ستصل للوصول في نهاية الرحلة ، أم أنك ضللت الطريق وستدفع ثمنا آخر للعودة.

تتفنن في خلق الأعذار له ، أعذار لا يقبلها عقل سوي عقل سلم سلطاته لقلب كقلب هاجر الذي شق صدرها وارتمي صاغرا تحت أقدام عماد.

كثيرا ماتوهمت أحاديث بينهما ، فتتحدث وترد علي نفسها بالعبارات التي تود سماعها منه ، بل تطور أمرها بأن تتحدثني هاتفها ساعات طوال أمام صديقاتها عن التخطيط لمستقبلهما ورسم خارطة الطريق ، وهو في غالب الأمر يتوسد خارطته عازفا سيفونية ” شخير“ قوية ، عليها تتخلص من لومهن ، وفي إحدي مكالماتها الوهمية كشف أمرها حيث رن هاتفها الذي سهيا عليها إخراس صوته كي يتستر علي جنانها ، لكنها استمرت في جنانها ، فهي تؤمن أن الجنون ركن من أركان الحب.

احتفلوا بخطوبة سارة وحمزة في مكان عام ، غنوا ورقصوا
وقدموا الهدايا واكلوا الحلويات ، وقضوا يوماً جميلاً دافئاً
بعيداً عن برود المدينة الجامعية وقبل أن تدق الثامنة
وصلن لحجرتهن الجامعية متعبات ، فكل منهن أرتمت في
فراشها بملابس الخروج بعد أن أعادوا ما حدث في الحفل
من مواقف عدا أميرة التي ذهبت للبالكونة للتفنت صيدها
وتنسقه علي حسب جدول مواعيدها ، أمسكت هاتفها
للتحدث إلي أول صيده ، صديق مقرب لحمزة ”حاتم”
، وظروفه مشابهة لظروف حمزة ، طرحوه أرضاً عينيها
، فطلب مساعدتها للوقوف علي قدميه ثانية ، لم يكن
يعلم بأن كعب حذاءها سيترك علاماته في قلبه الضعيف .

أنهت مكالماتها التي كانت بمثابة تفاحة كتفاحة آدم ، شهية الطعم
، وخيمة العواقب ، بل تزيد ، فتفاحة آدم تسببت في خروجه من
الجنة ، أما تفاحتها فتسبب في الخروج من الجنة والدنيا معا .

تذكرت قول هاجر الدائم لها : إنتي أخطر علي الرجاله من
الاحتلال يا أميرة، الاحتلال ييموتهم فيبقوا شهداء ويدخلوا
الجنة ، لكن إنتِ هتدخليهم جهنم.

ابتسمت ابتسامة نصفها فرح والآخر ألم ، ثم عادت لهاتفها
لتستكمل قائمتها ، لاحظت وجودها سارة التي أيقظتها السعادة
، فجلست علي سريرها نصف جلسة وقالت مستنكرة: إنتِ
مانمتيش لحد دلوقتي يا أميرة، دا حنا صاحين بدري وعملنا

مجهود كبير ، ريحي جسمك شويه.

أميرة: هاخلص التليفون اللي في ايدي وانام ، لسه الليل طويل.
نهضت سارة من فراشها خلعت ملابس خروجها وارتدت
روبا ثقيلًا واقتربت منها، ربتت علي كتفها : حاولي تجربي
فرحة الاستقرار يا أميرة، صبي روحك في إناء واحد ، بلاش
تسستهكليها في أواني هشه.

أميرة : أوني؟ أوني وأجيلك ههههه

يا اختي قولي حلل واخلصي ، وبعدين هو فين الأناء ده ،
أديكي شايفه كلهم قلل بتكسر من أول نظرة.

سارة: ناس كتير حواليك ، بيتمنولك الرضا وبيعرضوا عليك
الاستقرار ومستوياتهم كويسه ، بس إنتِ اللي مابتحبش تشوفي
غير دموعهم .

: فين دول ، تكونيش تقصدي جمال اللي بيقسط الكارنيه علي
تلات مرات ولا حسين اللي بقاله اربع سنين بنفس القميص ؟

سارة: هم دول بس اللي انتي تعرفيهم؟ طب ودكتور ياسر
أستاذ الجامعة المحترم، اللي قعدتي ترسمي عليه دور البريئه
واول ما وقع دوستي عليه.

: ياشيخه ده بيغير علي اللغة أكثر مني.

سارة: انتي بنتنقي من مين يا أميرة ؟

وترها السؤال ولكنها تظاهرت باللامبالاة، فأكملت سارة : لو
ماكنتش أعرفك كويس كنت قلت أنك حبيتي وانجرحتي وبتخلصي
تارك ، لكن عارفه انك ماحبتيش وماتعرفيش تحبي أصلا .
أميرة : إيه ياسارة ، إنتِ عشان لبستي دبله جرامين هتعملي
فيها عمرو خالد؟

سارة :وليه ماتقوليش إنني عايزكي تجربي فرحتي ، فكري
تاني يا أميرة وعيدي ترتيباتك.

قالتها بهدوء وذهبت لاستكمال نومها ، تاركة خلفها أميرة
التي جلست علي أرض البالكونه كي لا يراها أحد ، رفعت
وجهها للسماء ، فسقطت دموعها ، تحدثت لنفسها بحديث لا
تجرؤ أن تشارك فيه أحدا : بانتقم من نفسي ، طالما نفسي من
نفسه ، يمكن يوصله الانتقام ، باشوف وشه علي كل الوشوش
، فباحاول أطهره بدموعهم ، أيوه كل الرجاله هو ، وهو كل
القذارة، هو اللي اسمه شبك في اسمي ، فشبكت أنا في شبكته
، شبكته اللي بتستمتع بزفارة السمك أكثر من السمك نفسه .

تسرح مفتشة في دفتر ذكرياتها ، لتري له أحقر الصور وأوجعها
علي الأطلاق ، صورته في أحضان جارتهم العجوز التي كفنت
أنوثتها منذ زمن ،صورة محاولاته المستميتة مع الخادمة التي
تصغرها بعامين ، صورة لفتوحاته الغرامية الحقيرة علي جهاز
الكمبيوتر ، كثرت صورة فاخذلته في صورة واحدة،وهو يلهث

وراء كل ما يمت للأوثة بصلة من قريب أو بعيد دون أدني اعتبار للأسرة التي اختار أن يكون لها راعيا ، كثيراً ماتمنت له الموت، فاليتم أقل وجعا من قسوة الوالدين ، مؤلم جدا أن تتمني الموت لمن وهبك الحياة ، ولكن علي أمل أن يموت معاه الوجع والقهر اللذان وهبهما مع الحياة، صبت غضبها أيضا علي استسلام أمها بحجة أنها تحافظ علي البيت وتحرص علي مستقبلهم.

فأي بيت الذي سيقام علي عمود مائل؟!!

وأي مستقبل الذي لطخ ماضيه وحاضره باللهث وراء الشهوات؟ ، تلصق ظهرها بحائط البالكونة لتحتمي من وجع التفكير ، فيزيدها تفكيراً، تردد بصوت مسموع : ” أميرة محمد طه “ ، محمد طه عقوبة حكم عليها بها القدر دون ارتكابي أي تهمة أو ذنب ، فارتكبت الذنب لاستحق العقوبة ، وأقتل إحساسي بالظلم ، فالإحساس بالظلم أصعب من الإحساس بالذنب ، علي الأقل الذنب اقدر اوقفه طول ما أنا عايشه ، لكن الظلم مش قادره اوقفه ولا قادره استحملة ، الظلم زي السرطان بالظبط ، حد بيورم علي حساب حد ، ايوه بيورم ، لأن الظلم ما بيكبرش، و أنا مش هاسمح لحد يورم عليا ، تمسح دموعها كل خياناته وقاذورته ، أنا اللي هاورم بيهم علي الناس ، أنا اللي هاسرطن مش هاتسرطن ، تردد بغضب : مش هاتسرطن.

أحضرت مكاسب بونات الأكل ، وقامت هاجر بتجهيزه ، والتف جميعهن حول مائدة صغيرة، يتناولن الغداء والحديث معا .
أميرة: مش هيتوب علينا ربنا من أكل المدينة اللي بيطبخوه برجليهم ده ؟

جهاد: أحمدي ربنا ، البنات في السكن الخاص بيكملوا عشاهم نوم .

هاجر: ما احنا بندفع دم قلبنا هنا ، مش عارفه فين الدعم؟!
مكاسب: سيبك منهم يا جهاد، هو الشعب المصري كده يفضل يتبطر لحد ما يتنفض.

جهاد : المهم بكره أول رجب، كل سنة وانتوا طيبين، مين هتصوم معايا؟

سارة: صيام إيه في الحريقة دي ، الجو نار.

جهاد: ما إنتِ صومتي معايا السنه اللي عدت والجو كان أصعب من كده يا سارة.

تدخلت أميرة ساخرة: تلاقي كان عندها مشكلة ، أصل سارة مابتلعش الشيخ اللي جواها اللي لما تقع في مشكلة.

ضحكوا وغضبت سارة: وإنتِ بقي دفنتي الشيخ اللي جواكي في أنهي مقبرة؟

أجابتها مكاسب: مادفنتوش، دي شقطة ومستنيه منه مكاملة بالليل.

تناثرت ضحكاتهم ، فردت أميرة : بتعرفي تألشي يا مكاسب ، لا وعليا أنا ، داأنا لو جمعت المواقف اللي بتعملها وحطتها في كتاب هيبجيب أعلي إيرادات.

مكاسب: ياسلام ، طب زي إيه؟

أميرة: زي يوم ماروحت معاكي عند دكتور الأسنان ، سألك خلعتي ضرسك أمتي ، قلت يوم ما عملنا الكشك.

انفجرا ضحكات وعلقت هاجر : إيه الكشك ده يا مكاسب؟

مكاسب التي ضحكت معهم من قلبها وكأن الكلام لا يخصها: دي حاجه كده بنعملها من القمح واللبن ، الأجازة الجايه أبقي أجبلكم معايا شويه.

أميرة : أكمل ولا بلاش يا مكاسب؟

مكاسب: كملي ، ما أحنا المادة الخام للنكت والسخرية بتاعتكم ، كل ما تتزلقوا تقولوا مرة واحد صعيدي .

أميرة: طب وحياة ربنا كلام النكت قليل عليكم ، دانا شوفت منكم مواقف تجيب تشنج من الضحك، دا أنا كان ليا صديق صعيدي ، لقينه ببص علي بنتين بحسرة وشفقة أوي ، سألته ، في إيه، قال لي شايفه البنات زي العسل وفي عز شبابهم

وطرش، قلت له عرفت إزاي؟

قال لي بعصبية مش شايفه السماعات اللي اللي لابسنها في ودانهم ، بابص لقيتهم حطين سماعات بلوتوث.

ضحكوا حتي كادت أن تقف قلوبهن ، فضافت جهاد : بس جدعان وكرمه جدا.

مكاسب: ده كان زمان ، دلوقتي مفيش الكلام ده.

أميرة: لا الحق حق يا مكاسب الكرم عندكم شئ أساسي ، ده نفس الولد كان بيعزمني يوميا علي أنصف أكل.

مكاسب: كرم مات مخنوق يابنتي ، لسه الأسبوع اللي فات عيلتين مات منهم ثلاث أفراد عشان جاموسه الحاج محمد أكلت شويه ربيع من زرة الحاج أحمد وتقوليلي كرم.

أميرة: ده مش بخل ، دي عصبية وخشومية.

هاجر : غريبة يا مكاسب أول مرة اشوف حد صعيدي بيذم في الصعايده ، ويكره الصعيد، أنا ليا قرايب صعايده كرمه وجدعان ومتفتحين جدا ولبسهم راقى جدا .

مكاسب: الصعيد زييه زي أي مكان فيه الجدع والندل وفيه الراقي والغير وموضوع الجدعنه والكرم ده شويه في القرى عشان الناس وشها في وش بعض لكن المدن هناك مش كده خالص.

جهاد : طب كفايه راغي بقي وكلوا عشان نلحق نذاكر شويه.

تحدثت مكاسب بعد صمت وكأنها تذكرت شيئا مهما: أنا مش
باكره الصعيد ، أنا باقسي عليه عشان هو قاسي علينا قوي.

دقت الامتحانات الأبواب فاخترأوا منها خلف دروع الغش
المختلفة ، فعقولهن لم يعد بها مكان لاستقبال العلم ، وكان
بدا من النجاح ، النجاح الظاهري الذي يحترمه المجتمع
وتعترف به الوظائف ، فتفننوا في ابتكار وسائل غش مختلفة
، تحقق لهن النجاح بل تجلب لهن التقديرات العالية.

استيقظت مكاسب من نومها لتري سارة تركب أظافر صناعية
علي أظافر يدها وتضيف عليها إجابات لأسئلة متوقعة في الامتحان
مكتوبة بخط دقيق جدا ، فحدقت مندهشة: إنتي بتعملي إيه؟
ردت جهاد: بتغش يا ستي ، ناسيه إن سيدنا النبي قال
" من غشنا فليس منا " .

ردت سارة: وإنتي ناسيه إن ربنا قال " لا يكلف الله نفسا
إلا وسعها " .وزي ما أنتوا شايفين مشغولة ومعديش وقت

جهاد مستغفرة: إنتِ كمان هتحموري علي كلام ربنا؟

تستكمل سارة عملها بدقة وتشيح في بوجهها.

مكاسب: أنا دايمًا بانخدع فيكي يا سارة، وتكمل ساخرة: بس
لازم تعذريها يا جهاد، هي فعلا معندهاش وقت ، طول النهار

خروجات مع حمزة وبتيجي تكمل بالليل في التليفون ، هتقطع يعني
تدخلت أميرة الواقفه أمام المرآة أكثر من نصف الساعة لترسم
الحجاب علي رأسها رسما : أوعي تقولي انك مابتغشيش يا
مكاسب ؟

مكاسب : بغش طبعاً ، بس مش بطرقكم دي .

تزحمت ضحكاتها في وسط نظرات ضيق من جهاد .

سارة : امال بتغشي أزاى بقي يا منخدعه ؟

مكاسب : باروح بدري نص ساعة ، وأكتب علي الحيطه .

أميرة : ده كان أيام الكلاس يافالحه المدرج مفهوش الكلام ده .

التفتت مكاسب نحوها لتسألها عن طريقة أخري
فانتبهت لحجابها : إنت اتحجبت يا أميرة ولا إيه؟ ،
أوعي يكون الشيخ اللي جواكي بيطلع أيام الامتحانات .

أميرة : لا ، اطمني ده لزوم سماعة البلوتوث .

مكاسب : ماشاء الله ، داأنتوا محترفين بقي .

أميرة : الأحتراف اللي بجد كان علي أيام الواد طارق ،
كانت مبعوتاله حته نضارة طبية عاديه فيها عدسات وكل
حاجه ، وفي نصها كاميرة فيديو ، مش أي حد يشوفها وفي
آخرها كده عند الودان سماعة لاسلكية بلون الجلد الطبيعي

، مش أي حد يشوفها برضه ، كنت أقرأ السؤال من هنا والكاميرا تنقل مباشر من هنا ، وطارق يبقي مستني في البيت قدام الكمبيوتر ، فيقوم بالبحث عن إجابة السؤال اللي قرينه ويملي الإجابة بالميكرفون ، فتوصل لي بالسماعة اللي في النضارة ، وخلصت ، كانت أيام ، ربع ساعة وأقفل أجدع مادة .
مكاسب : طب وراح فين الكنز ده .

أميرة: زحلقتة ، واد نسوانجي وعينه فارغه .

تضحك مكاسب : لا ، صاحبة مبدأ ، ثم نظرت لهاجر التي امتنعت عن مشاركتهن في الحديث وامسكت بكتاب تقلب صفحاته هباء ، وتتابع هاتفها بعيون شارده ، سألتها: وانتي يا هاجر مش بتغشي زينا؟!!

تجيبها سارة بسخرية: علي حسب عماد لو قالها غشي هتغش ، لو قالها اسقطي هتسقط برضه عادي .

لم تلتفت لكلمات سارة وكأنها موجوده وسطهن بجسدها فقط.

علي عكس العرائس تطايرت فرحتها باقتراب موعد زفافها ، حيث قبلت بأشياء لا تقبل بها أرملة ، بخثت كبضاعة مبخوثه وطالت بخثتها فستان زفافها الذي اختارته رغما عنها أم حمزة مسترخصة ومستحقرة عله يظهر مدي حقارتها لتشفي

غليلها ، فهي تدرك تماما أن فستان الزفاف لدي العروس أهم من العريس نفسه ، حاولت سلب فرحتها بكل شيء ، كما فعلت بها هي من قبل ، فلن تنسي بأنها حرمتها من اختيار عروس جميلة وملتزمة من عائلة كبيرة تضاهي عائلتهم ، ولن تغفر لها نصبها واحتيالها وطمعها في أموال حمزة ، حيث بلغها مجهول بكذبة الحمل ، فأخذتها عنوة للطبيب وتأكدت من كذبها ، وبذلك أصبحت كل شكوكها في موضعها ، وودت أن تتخلص منها ولكنها فشلت أمام توسلات حمزة وتهديداته الانتحارية ، فقررت أن تحول مراسم عرسها إلي مراسم عزاء ، وهذا أقل شيء يطفئ النار المشتعلة داخلها ، والباقية تأتي .

أخذت تذهب وتجيئ في الغرفة بتوتر وضيق جعلها تعض علي يدها ، لاعنه كل ما يمت لأم حمزة بصلة .

أمسكت هاجر بذراعها : ما تهدي يا سارة ، دوختيني معاكي وإنّ هيجرالك حاجه .

: اهدي ، اهدي إزاي ، عمرك شوفتي واحدة تمتحن وتتجوز في يوم واحد ، أنا هاتجوز يوم امتحاني شوفتي جبروت الوليه وصل لحد فين ، لا وعاملهالي مفاجاة بنت الكلب .

ضحكوا جميعا وقالت هاجر : عادي يا سارة امتحني الصبح واتجوزي بالليل ، وإنّ وحمزة واخدين علي بعض وهتقدروا

وبعدين ده آخر يوم امتحان يعني.

سارة: آخر يوم ! دي معظم أيام الامتحانات أضربت ومش عارفه اشتري جهازى وخليت الناس الغريبه تشتري لي حاجتي .

مكاسب: دي ست مفتريه مش قادرة تستني أسبوع كمان ، لو مش خايفه عليكي تخاف علي ابنها اللي بيمتحن ، وحمزة إزاي يوافق علي كده ، ليه مايوافقش في وشها.

سارة: هيقف في وشها علي إيه ولا إيه ، ربنا ياخذها.

تترك أميرة هاتفها وتتدخل في الحوار: إيه الأوفر ده يا سارة ، إنت كده كده مش بتذاكري كله بالغش والفرح علي الضيق ومفيش معازيم وبعدين انتي مش كنتي هتموتي وتطلعي من بيت اهلك ، أول ما تجيلك الفرصة تنكدي علي نفسك وخلاص ، أفرحي يا شيخه بلا هم.

سارة بغل : طبعا ، ما إنت مش لاقيه لي جحيم اولع فيه ، عشان تطفي نار الغيرة اللي فيكي ، مش قادرة تنسي إنك الأميرة اللي في المقدمة في كل حاجه.

فتحت أميرة ثغرها مندهشة: مقدمة ومؤخرة إيه يا سارة ، أنا مش فاهمه حاجه.

سارة: إنت فاكرني واحد من العيال اللي بتمثلي عليهم ، لا أنا فهماكي أكثر من نفسك ، وعايظه افهمك حاجه ،

أنا وحمزة واحد صحيح مش هيتقسم أبدا ، مهما حصل
ومهما عملتي ، واديكي شوفتي اتحدي أهله كلهم علشاني.
ضربت أميرة كف علي الآخر: يا بنتي قولي اللي عندك
وفكك من الألغاز دي، قولي في إيه؟

سارة: فيه إنك مش كد الصداقة ولا العيش والملح ، روحتي لأم حمزة
وقولتليها علي كدبه الحمل عشان توقعيني وما اسبقكيش في حاجه.
ولدت دمعة في عيون أميرة، ولأول مرة يعجز لسانها عن الكلام
، صمتت لتسقط دمعتها وبصوت مهزوم قالت: بس، كفايه
لحد هنا يا سارة ، مادام شكيتي في صدقي معاكي ، وأصدرتي
قرارتك علي الشك يبقي دي نهايتنا، بس عايزه أفكر
إني لو عايزه اوقعك مكنتش خرجتك من المشكلة في الأول.
لم تتحمل الجلوس معها في غرفة واحدة ، فارتدت عباءتها
السوداء ورمتها بنظرة عتاب ثم خرجت.

نفخت سارة: أنا اللي مش أعرفها ثاني ، دي مافيش فايده
فيها، عمرها ما هتنصف ، دي لو طالت تظبط حمزة هتظبطه.
مكاسب: أول مرة اشوف أميرة مقهورة كده وده دليل إنها
مظلومة ، اتأكدي الأول يا سارة ، إن بعض الظن إثم.
تعصبت سارة: أتأكد من إيه ، هو فيه حد يعرف أم حمزة
غيرها، افتكرتها صاحبتي وخذتها معايا مرة واتنين ، وحمزة

قال لي أن اللي قالت لأمه بنت معايا في الجامعة ، يبقي هي مافيش غيرها ، بس معلى مش بيقولوا الصداقة المزورة زي الفلوس المزورة ماتتعرفش إلا عند التعامل ، وهي طول عمرها مزورة.

صمتت هاجر صمتا قاتل لتتحسس تلك البطحة التي علي رأسها ، فهي المزورة الحقيقية لا أميرة ، حيث يذكرها نجاح الآخريين بفشلها ، تتساءل بآسة عما يميز سارة عنها ليحبها حمزة بهذا الشكل ، حتي في تساؤلاتها ، ترفع عنه المسؤولية وترهق نفسها ، فلماذا لا تسأل عن ما يميز حمزة عنه ليفي بوعدده لهذا الحد؟

حمزة وسارة أول زيجة عرفية تعرفها تتحول لزواج شرعي يغمره الحب والاستقرار ، حركها الحقد لمنعها وفشلت محاولاتها أمام رجل أحب فصدق ، تتنهد تنهيدة طويلة ، الليلة سيزاد علي عذابها بحبها الأعرج بعذاب تأنيب الضمير ، وما أثقل الليل علي المذنب وما أطوله علي المحب ، قطع صمتها الظاهر وحديثها الخفي رنين هاتفها ، ردت ببرود ليصل إليها صوت أمها مطمئن عليها وتوصيها : اشربي و كلي كويس يا هاجر ، اتغطي وكترى الغطا ، الدنيا بتبرد بالليل

تأملت كلماتها لتتساءل : ليه دائما أمهاتنا بتوصينا بالأكل والشرب والغطا ، ليه مش بيقولوا : حبي كويس ، أختاري كويس ، غطي روحك بحد يستاهل ، حقيقي الأكل والشرب

مصدر الحياة ، لكن الحب روح الحياة ولأن حياتنا مهمة بالنسبة لهم مش لازم نكون أحياء بالجسد ، وأرواحنا ميتة ، بعد تأملاتها ردت بكلمات مقتضبة باردة: حاضر، ماشي. لتقلق الأم: إنتي لسه بتتوهي والكلام بيوصلك متأخر يا هاجر، لازم تكشفني ، أبوكي هيجزلك عند أكبر دكتور في مصر. وددت أن تقول: أن مرضها لا طيب له إلا هو ، وهو يبخل عليها بالعلاج ، لكنها قالت مسرعة: اطمني يا أمي، أنا كويسه ، ده ضغط امتحانات بس.

هامت في عباؤها السوداء حتي وصلت للنيل ، وددت أن تشكو له جروحها ، لكنها لم تفعل ، فهي لم تعتد الشكوي ولم تطرق بابها يوما فهي تؤمن بأن الشكوي لغير الله مذلة ، و"بالشكوي تزداد الطينه بله" ، اكتفت بالنظر لانعكاس وجه السماء في بطن النيل ، فظهرت لها صورة أبيها مع فتاة ليل رغم وضوح النهار، غضبت وكادت أن تبصق عليها ولكنها تراجععت أمام نظرات المارة، أعطتهما ظهرها و نظرت للشارع بسخف ، لم تسلم من معاكسات أشباه الرجال ولا لمضايقتهم لأي أنثي عابرة، لكن لا يهم ، فهي تنتقم منهم بطريقتها ، وتعرف كيف تجعل كل من يعرفها لا يلتفت لأنثي بعدها، اقترب منها عجوز متسول أطلق لحيته مرتديا

ثيابا مهلهلة، دعا لها قاصدا صدقة، وبرغم كرهها للمتسولين حيث تري فيهم إحترافية النصب والسرقه والكذب، إن لم يكن فيهم، فمن المسؤولين عنهم، فهي تري أنه كلما زاد عدد المتسولين زادت أموال المسؤولين، إلا أنها رقت له عله في ضيقة تشبه ضيقتها فاعطته بعض ما في محفظتها، رفع صوته بالدعاء لها: ربنا يريح بالك يا بنتي ويظمنك. ردت بلامبالاه: بالي مش هيرتاح طول ما أنا باشيل غلطات مش بتاعتي.

ربت علي كتفها بلين: ماتدوريش علي غلطات، دوري علي العلاج يا بنتي، كلنا بنشيل بعض الغلط. ردت: أحيانا بيكون علاج الغلط غلط يا حج : لا يا بنتي، الغلط عمره ما كان علاج.

أنهت حديثها مع الرجل بسرعة عندما لمحت شبح حاتم قادم من بعيد، حاولت الهرب منه، لا تريد أن يراها بالعباءة السوداء تلك، مثلها مثل البائعات دون مكياج، لأول مرة في حياتها الجامعية تخرج بدون مكياج، فتظهر بوضوح بشرتها الخمرية التي تكرهها وتكره المقولة الكاذبة: بأن السمار نصف الجمال، فالبياض هو النصف الحقيقي للجمال، هكذا تعتقد. فشلت محاولاتها حيث لمحها وهي تمد بخطوات مسرعة فنادي باسمها، وقفت علي مضض، رحبت بسلام بارد

وكلمات مقتضبة لا تخلو من رائحة الهروب، مختلقة الأعذار كي تتخلص من المقابلة في أسرع وقت حتي لا يتمكن من رؤية تفاصيلها، فما أثقلها علي الأنثي حينما يراها أحدا يهتمها أمره بملابس لا ترضي عنها ، أختلقت الأعذار وذهبت لاعنة الصدف التي لا تخدم أصحابها.

تغاضت عن ضياع فرحتها ، وامتلكت العالم بامتلاكها شقة خاصة بها مع رجل يحبها، وتشعر بانها تحبه منذ لحظة ميلادها ، اليوم ستتذوق طعم الحربة ، ستفعل كل شئ علي راحتها ، تستيقظ وقتما تريد وتسهر كما يحلو لها ، وتخرج في أي وقت ، اليوم ستودع العبودية والعزوبية معا. كانت تعتقد أن الحربه في الزواج!

هاجر: يا بختك يا سارة يابنت المحظوظه مقفول عليك
باب مع حد بيحبك وبتحبيه.
أميرة بغل : لا وإيه باب شقة معتبرة في الزمالك ، مكان ماكنتش تحلم تبيع فيه ترمس.
مكاسب: تفتكروا هيتغدوا إيه دلوقت ؟

ضحكوا فقالت

جهاد : بارك الله لهما وفيهما ، وكفاهم شر الحقد والحسد.

أميرة: لا ، في النقطة دي بالذات لازم نحقد ونحسد ، مش كفايه
أننا هنترزع في البيت لحد السنة الدراسية ما تبدأ وبعدين
نرجع المدينة تاني وهلم جرا وهي هتقضيها خروجات وفسح .

هاجر: عندك حق ، أنا نفسي اعمل حاجه جديدة ، أسافر
مكان مختلف ، أحضر فرح ، جنازة أي حاجه تكسر الروتين ده .

جهاد: كلنا كده ، حتي سارة محضرناش فرحها ولا شفناها
بفستان الفرحة .

مكاسب: طب ماتيجوا معايا تحضروا فرح أخويا واعملكموا
جولة في الصعيد .

أميرة: أنا دايسه معاكي .

هاجر: وأنا كمان .

مكاسب: وإنتِ يا جهاد ، إيه رأيك؟

جهاد: هاستأذن ماما وبابا وأرد عليكِ .

تضربها أميرة في كتفها: لازم تفصلينا بجملك دي يا جهاد ،
بتحسسيني أننا أولاد شوارع .

ضحكوا بصوت عال ، فقالت مكاسب: لا بجد ،اتفقوا كده
عشان الفرحة بعد الامتحانات علي طول ولازم تيجوا كلكم.

أعادت علي مسمعا جملة جهاد ” أستاذنا بابا وماما“ ، تذكرت
أن طول فترة حياتها لم تستئذن من والدها في شئ ، فقد اقتصره
عقلها الباطن في شخص يمدها بشيئين مهمين ، المال والعهر.

في تلك المرة قررت أن تفعل، لا تدري ما السبب ، عادت
للبيت، سألت عنه علي غير عاداتها ،وعلي عاداته هو
يتحدث في الهاتف ، رمت بحقيبة ملابسها ونظرت لأمها
نظرة عتاب ممزوج بالدموع ثم دخلت غرفتها، دخلت
خلفها الأم تتحرش بها في الكلام : أحضرك الأكل يا أميرة؟

تجاهلت سؤالها قائلة: عارفه يا ماما البنات بيستغربوا لما
يعرفوا إنني من القاهرة وجايبه واسطه عشان اسكن مدينة
، أنا بقول لهم إنني مباحبش المواصلات بس الحقيقة ، أنا
مابطقش أقعد في البيت ساعة واحدة.

الأم: أحمددي ربنا يا أميرة، ركزي في حياتك وبلاش غلطة
صغيرة تنسيكي نعمة كبيرة.

تخلت عن هدونها وأدبها ساخرة: غلطة وصغيرة؟ تعرفي الغلطة
اللي بجد حضرتك مش هو ، ضعفك ، سكوتك ، سلبياتك

، إرادتك المشلولة ، تقدرني تقولي لي ازاي تبقي عارفه إنه مع حد غيرك ، وتبقي معاه عادي؟

ليه تقبلي علي نفسك الإهانات دي؟!!

ردت الأم بصوت مخنوق بالدموع : عارفه ليه أنا قابله الإهانه ، عشان إنتي واخواتك ماتكلوش من تحت إيد واحده غريبة ، عشان تلاقوا واحدة تكنس وتنصف وتطبطب وتحايل ، عشان لما يجي لك عريس مامته ماتقولش لا دي مامتها مطلقة ، عشان الجيران مايطمعوش فيكي ويقولوا من غير أم ، مسحت دموعها : عشان حاجات كتير مش هتفهميها دلوقت .

أميرة : وإنتِ فين من ده كله ، حياتك ، كيانتك؟

: أنا نصيبي كده ، وراضيه بنصيبي ، وكفايه أكون جمبكم وربنا يعوضني فيكم .

قبلت يدها وارتمت في حضنها باكية ، دخل عليهما والدها مندهشا : في إيه يا أميرة ، جيتي قبل الخميس يعني؟ خرجت الأم ووقفت أميرة مكانها دون إجابة واكتفت بالنظر في عينيه .

: متنحه ليه يابت كده؟

تمنت مواجهته ولكن حشر الكلام في حنجرتها ، فما أصعب المواجهة حينما تكون من بنت لأبيها ، فقالت بصوت منخفض : عايزه فلوس .

نظر في هاتفه ليقرأ نص رسالة قائلاً : عندك في الدولار .

عادت أميرة إلي غرفتها الجامعية ، فوجدت جهاد تبكي علي سجادة الصلاة ، جرت نحوها : خير يا جهاد ، في إيه؟ مسحت دموعها : اشتقت لرؤية حبيبي .

أميرة : أيوه بقي ، احكي لي مين ده ، وإيه ظروفه ، يمكن أساعدك . جهاد بخشوع : وهل لي حبيب سواه ، رب العزة في سماه .

: استغفر الله العظيم ، حياة أبوكي بلاش جو رابعة العدوية ده ، مش ناقصة ذنوب ، ثم تقف لتخلع ملابسها : عارفه يا جهاد ، إنت الوحيدة اللي ينفع اقول عليها مش عايشه معانا علي الكوكب ، الكوكب كله خراب ، إنتي جبتي العمار اللي جواكي ده منين؟

ابتسمت جهاد : الكوكب ما ينفعش يخرب وربنا موجود ، العمار حواليك في كل مكان ، بس إنتِ قرري تشوفيه .

أميرة : قولي لي يا جهاد ، إنتِ عندك مشاكل زينا ، حاجات بتنغص عليك حياتك يعني؟

: أكيد مش بشر زيكم .

: وبتعملي إيه؟

: واستعينوا بالصبر والصلاة .

حكيت أميرة رأسها : أيوه بس الصبر مر ، واغلبننا بيقصر في الصلاة .

: ادعي ربنا يثبتك علي الصبح واستغفري ، ربنا عالم بحالنا
وعالم بمشاكلنا ، ”لقد خلقنا الإنسان في كبد“ يعني طول ما
احنا عايشين هنكابد ومنتعب ، المهم القوي اللي يتغلب علي
مشاكله ويعيش دنيته بما يرضي الله.

أميرة صائحة: أيوه الله عليك ، احنا طول الوقت بنكابد ،
أكيد ربنا هيغفرلنا صح .

تلتفت لهاتفها وتستاذن للرد علي مكالمة.

غارت من تألقها الفراشات ، وغارت من وداعته العصافير
، أمسك يدها ، فضغطت علي يده بشدة ، وكأنها
تستوعب وجوده الدائم معها ، فهم شعورها فابتسم ،
سحبها نحو البحر ، تعالت الأمواج والضحكات معا ،
صرخت : أنا مابعرفش أعوم يا حمزة ، رد مازحا : ولا أنا.

ثم حاملها علي ظهره فتشبثت به حتي صارت جزءا
منه ، قضيا نهارهما في البحر وعلي الشط ولم يشعرا بالوقت
حتي جاءهما القمر متسللا علي استحياء ، واستقبلاه بالحب
والمزاح حيث قال: تعرفي إن قمر اسكندرية غير أي قمر.

ضحكت : ليه بقي؟

حمزة بجدية: عشان فيه حتة وقعت منه علي الأرض.

اصطنعت الجديدة : هي فين؟

أشار عليها : أهي.

ضحكا وتعالنت الامواج من جديد.

★★★

انتهت رحلتهم في قطار الصعيد بعد مزاح وعناء طويلين ،
ثم تنقلن بين سيارات الأجرة حتي أخرج سيارة حملتهن إلي
قرية مكاسب ، جمعت مكاسب منهن الأجرة وهمت بدفعها
للسائق ، فإذا بصوت غليظ يأتي من خلفهن ليثقب طبلة
أذنهن: وصلت يا عبد العاطي.

انزعجن من قوة صوته وردت مكاسب: شكرا ، مرة تاني.

كررها بصوت ممتلئا بالتهديد : قولت لك وصلت يا عبد العاطي.

نظروا خلفهن تلك المرة ليروا رجلا أربعينييا ، أحرقته شمس
الصعيد ، واستولي شاربه الكثيف علي نصف وجه الممتلي.

أمسكت أميرة في يد مكاسب: مين ده ومين عبد العاطي اللي
بينده عليه ، او عي يكون اسم الدلع بتاعك.

ابتسمت مكاسب: ده ابن واد عم أبويا ، هيدفع لنا الأجرة وبيندهني
باسم عبد العاطي أخويا عشان الناس الغريبه ماتعرفش اسمي.

أميرة : ابن واد عم أبوكي أنتِ ، هيدفعلنا أحنا ليه؟!!

مكاسب: انتوا ضيوفى ماينفءش يدفعلى وبسببكم.

جهد: بس كده حرام ده شكله راجل بسيط.

مكاسب: هى الأصول عندنا كده.

التفت أميرة خلفها للرجل وابتسمت قائلة: شكلنا هنقضى يومين
عنب. لكزتها مكاسب محذرة: يخرّب بيتك ،هتفضحينى ،
انتى هتشقطى هنا كمان ،الناس هنا عارفه بعضها .
انطلقت السيارة وحاولت مكاسب السيطرة على ضحكهن
ولمزهن حتى وصلن لمداخل البلد.

مكاسب: يلا يابنات هننزل هنا ، تبعتها ويسرن فى طريق ملتو
غير ” مرصوف “ وسط الزرع ، فقالت جهد: ما شاء الله على
جمال الطبيعة والهواء النقى شئى مبهج أفقدناه فى المدن ، انتهت
من جملتها ودخلوا فى شارع فرعى لينهال عليهن دخان كثيف
غطى صدورهن وامتألت أنوفهن برئحته ، فتنحنحن محاولات
أخذ أنفسهن بصعوبة وتراجعن للخلف ، قالت أميرة وهى
تتشبث بعملية الشهيق والزفير: الحقى يا مكاسب بلدكم بتولع .
ضحكت مكاسب وهى تتنحنح لتطرد رائحة الدخان :
ماتخافوش ده الفلاحين بيحرقوا بوص الدره.

سدت هاجر أنفها ليخرج صوتها أخنف: نعم يا اختى
، وجمال الطبيعة والهواء النقى بتولعوا فيه كده عادى؟

مكاسب: ده أيام محصول الدرہ بس ، الناس مابتلقيش فايده
من البوص فيببحرقوه ولإنه أخضر ، فدخانه صعب شويه .
أميرة: يخرب بيتكوا ، دا انتوا اللي خرقتوا طبقة الأزون
بقي ، الحكومة فين في ده كله ؟

مكاسب باستهزاء: حكومة إيه يا بنتي ، هي الحكومة تعرف
عنا حاجه .

وقفت جهاد في وسط الطريق : أنا مش قادرة أمشي ، مش
قادرة اتنفس ، جالي اختناق .

أخذت مكاسب بيدها : خلاص وصلنا البيت علي آخر الشارع .

وصلوا ليروا بيتاً كبيراً ملوناً بألوان زاهية محاطاً بالزرع من
ثلاثة نواح .

فقالته أميرة: أخيرا وصلنا ، يلا خلي أمك تعمل لنا سندوتشات
بسرعة ، ليفزعها صوت : يا مرحب ، نورتوا الصعيد يا أبلات .

أشارت عليه مكاسب: سلموا علي ابويا يابنات .

، رجل خمسيني بعينين جاحظتين وشارب رفيع يتفق مع
الأسانسير في حجمه ، هربت بشرته من شمس الصعيد ،
يرتدي جلبابا بلدياً وعلي رأسه عمامة كبيرة تشبه قبة

مسجد، خرجت علي صوته أم مكاسب في عباؤها السوداء
وحجابها الأسود الذي وضعت علي رأسها دون قيود ،
رحبت بهن علي طريقتهما حيث أمسكت بكل واحدة علي
حدة لتضع خمس قبلات لازجة علي خدودهن، همست
أميرة في أذن مكاسب : أمك بتبوس ولا بتلرزق طابع بوسته؟
ضحكت مكاسب وقالت لأمها : كفايه يا اما وحضري لنا الأكل.

تناولن الغداء وشربن شايّاً ثقيلاً ، وسألت أميرة : هو الفرح
أمتي يا مكاسب؟
: بعد بكره.

أميرة: أنا لسه هاستنا يومين ، أنا زهقت من دلوقتي .

ضحكت مكاسب: طب تعالوا افرجكم علي بيتنا واعرفكم علي
الجيران.

كان بيت مكاسب يتكون من طابقين ، الطابق الأول به مقعد
كبير للضيوف فيه ثمانية مقاعد منجدة ومفروش بسجادة كبيرة
متواضعة ، أما الغرف فكانت واسعة تترواح مساحتها 4×6 أمتار
وذات أسقف عالية ، مدهونة بـ"بوهيه " متواضعة تحوي أثاثاً
قديمًا ومكسراً يبدو أنه عفش الزوجيه الخاص بوالدي مكاسب.

لم تسلم مكاسب من تعليقات أميرة: دي أوض ولا استاد كورة يا مكاسب؟

مكاسب: زي ما أنتِ شايفه ، الدنيا حوالينا وسع فبنوسع
علي نفسنا، تعالوا أعرفكم علي بيت عمي.

جهاد معتذرة: خليها بكره ، أنا مرهقة جدا.

مكاسب: بكره الحنة ، وعبد العاطي اخويا هيرجع من السفرو...

تقاطعها أميرة: ثانية واحدة، مش عبد العاطي ده العريس؟

مكاسب: أيوه.

أميرة: وسايب فرحه ومسافر؟

مكاسب: يا بنتي ده مسافر من سنتين بيشتغل ، ده حتي
ماشفش عروسته غير في الصور.

أميرة: وتاعب نفسه ونازل علي الحنة ليه ، كان اتجوز
الصورة احسن.

دقت السادسة صباحا ، فإذ بطرقات شديدة ومتكررة علي
باب غرفتهن ، فزعن من نومهن وردت مكاسب بهدوء:
خلاص وعادت لنومها ، هزتها هاجر: قومي شوفي مين.

مكاسب: دي أمي جايه تصحينا ، معلش اصل احنا متعودين
نصحي بدري نقضي مصالحنا وننام في الضهريّة.

أميرة: دي جايه تقبض علينا مش تصحيننا، اطعلي عقليها
وقوليلها أننا بنسيب امتحان الساعة^٨ عشان مانصحاش بدري.

ذبحت الذبيحة يوم الحنة وصرخ المزار حتي الثانية عشرة
مساء بحضور الأهل والأحباب من الرجال، فالاحتفال بالحنة
مقصود علي الرجال فقط، مارسوا طقوس الفرح لديهم من
ضرب الرصاص والرقص بالعصا، في حين مكثت النساء في
الداخل، يرسمن الحنة علي كفوفهن ويتبادلن الزغاريد، حتي
زحفت الليلة الكبيرة واستبدل المزار بال ”دي جي“، وازدحم
الحضور رجالا ونساء في ساحة حضراء خلف منزل مكاسب.

جلست مكاسب وسط صديقاتها يتبادلن الحديث والمزاح، وإذ
بطفلة لا تتعدي الخامسة عشرة، لكنها بملامح عجوز حيث
كحلت عينيها بغبار السنين وصبغت شفثيها بزرقاة الأيام ،
اقتربت من أميرة بنظرات أعجاب: الله، عنكي حلوين قوي.

تلك الجملة التي تسببت في غرور أميرة المطلق وسعادتها أيضا
، فبها تطمئن علي مدي صلاحيتها.

ردت بثقة: ميرسي يا قمر، فأكملت الطفلة: وشعرك كمان
حلو، ولبسك ، كل حاجه فيكي عسل.

مزحت مكاسب: بس يا أم الزين ماتنفخهاش كده ، ده كله

مكياج ، لو غسلت وشها هتبقى شبه عطية النجار.

سألت أميرة مستغربة: أم الزين، اسمك أم الزين؟

ابتسمت وردت بخزي: الزين ده ولدي، اروح أشوفه.

علقت هاجر: بجد يا مكاسب دي متجوزة ومخلفة.

مكاسب: ايوه، بس لسوء حظها، جوزها مات بعد جوازها بشهرين، ولأن سنها صغير كتبوا لها عرقي ولما ولدت ماكانوش عارفين يكتبوا الواد باسم مين، وفي الآخر كتبوه باسم أبوها هي.

تتأفف أميرة: أنتِ معنديش قرابش شباب خلاص يا مكاسب، الفرحة كله ستات وعواجيز.

مكاسب: عندي طبعاً ولاد عمي تلاته وعایشين في فيلا.

أميرة: فين؟، مش شايفه حد يدل علي فيلا خالص.

مكاسب: في الكويت.

أميرة: مفيش غيرهم؟

مكاسب: فيه ولاد عمي الثاني واحد مهندس وواحد مدرس.

أميرة: ايوه بقي، موجودين في الفرحة؟

: لا في الكويت برضه.

تقز علي أسنانها: قرابك اللي مش في الكويت يا مكاسب، عندك؟

: ايوه طبعاً ولاد خالتي ، متدينين ومخلصين جامعة.
أميرة: ايوه كده ، عرفيني عليهم عشان اهوي عن نفسي شويه.
: لا هما في السعوديه ، اصلهم متدينين و...

قبل إتمام جملتها ، خلعت أميرة حقيبته لتهدم بها رأسها
لاعنة أقاربها وفرحهم.

أشارت جهاد علي امرأة تقف في نافذة البيت المقابل لبيت
مكاسب، وتتابع الفرح بشغف واهتمام، : مين دي يا مكاسب ؟
دي عمتي مكاسب من غلاوتها علي أبويا سماني علي اسمها.

: طب ليه مجتش الفرح بدل ما هي واقفه كده؟

: متخاصمه مع أبويا بسب الورث، دماغها ناشفه مصره تاخذ
حقها أرض وأبويا دماغه أنشف، مستحيل يفرط في شبر من
أرض بيت أبو هطلة لجوزها الغريب.

التفتت أميرة: واحدة واحدة كده فهميني، مين بيت أبو هطله دول؟
مكاسب : عيلتنا.

أميرة: وابو هطله مش عايز يدي أخته حقها اللي شرعه ربنا ليه؟
مكاسب: ، لأن الأرض للرجال، ماتنفعش تورثها الحريم.

أميرة: وليه الحرير ماتخدش حقها في المحاكم؟

مكاسب: ولا ألف محكمة تقدر تفرق زراعته من صاحبها وتديها لغريب يزرعها.

قطع كلامهن ضرب الرصاص وصوت مزمار السيارات الذي أعلن عن وصول العروسين ، ، استقبلهما الحضور بفرح وسعادة ظهرت في رقصهم وغنائهم حتي انتهى الفرح.

قطعت عليها شهر العسل ، معلنة حرب الاستفزاز ، رافعة شعار ”يسبك مايسبني يامرات ابني“ ، طالبت بمجيئها لبيت العائلة كأسيرة حرب ذليلة ، لتحصد الغنائم من مشاعرها ، وتستلذ بحلاوة النصر ،

استاءت سارة وعبرت عن استيائها بمد بوزها لمدة يوم كامل ، فحاول حمزة إرضائها ، فأحضر لها هدية ، ” سلسلة ذهب أبيض إيطالي“ وضعها حول رقبتها بهدوء وقبل عنقها : هتنطق عليكي.

شدت السلسلة من رقبتها: أنا عايزك أنت اللي تنطق يا حمزة مش السلسلة ، تقدر تقول لي مامتك ليه مصره تضيع فرحتي بأي حاجه؟

ليه بتعاملني معاملة الخدامين ، تصدر أومرها بصوت عالي ، وأنا أنفذ بهدوء؟

: معلش يا سارة ، نستحمل شوويه ، ماما طيبة جدا والله
، بس مش قادرة تنسي الطريقة اللي أتجوزنا بيها ، فاحنا
لأزم نناسيها بالمعاملة الحلوة، لأزم نصبر وندفع ضريبة حبنا
وقفت لتعد حقائب السفر بيئس : واضح أنني هافضل طول
حياتي هدفع ضرايب لناس مكسبها الوحيد خسارتي.

أعدن حقائبهن ، وأرتدين ثيابهن استعدادا للسفر ، ظللن في
انتظار والد مكاسب الذي أصر علي توصيلهن القاهرة للاطمئنان
عليهن، لكنه تأخر عن مواعده، أصبن بلعنتي الانتظار والقلق ،
فتأففن وتوترن وصببن لعانتهن علي مكاسب ووالدها وبلدها ،
حتي جاء صوته في الهاتف معتذرا عن التأخير مطالباً بتأجيل
السفر للغد ، حيث ذهب لمستشقي سوهاج العام لانفجار
الزائدة لدي أخته سناء.

علقت أميرة: لازم تنفجر ، مش ابوكي مش عايز يديها حقها
لمجرد إنها ست.

مكاسب: لا دي مش هي ، دي عمتي سناء، كفيفة وبتربي أيتام
قالوا بصوت واحد: لا حول ولا قوة إلا بالله ، وسألت أميرة
: هي كانت مفتحه واتعمت مش كده؟

مكاسب: ايوه ، عرفتي أزاى؟

أميرة: ما دام كانت متجوزة وعندها عيال يبقي كانت مفتحه ،
أصلي مافيش راجل دلوقتي بيستحمل ست تسند عليه ، كلهم
عايزين واحدة تغسل لهم الشرابات .

ابتسموا واقتربت أميرة من مكاسب محذرة : مكاسب ، أوعوا
تكونوا عملتوا فيها زي طه حسين يا بت يا مكاسب .

ضحكت مكاسب: لا ياستي ، دي جوزها مات ، قعدت
تلطم وتضرب رأسها في الحيط لحد ما شبكة عينها فصلت .

استغفرت جهاد قائلة: ” ليس منا من لطم الخدود وشق
الجيوب ودعا بدعوي الجاهلية“ ، وفي حديث ثاني ”النائح
إذا لم تتب قبل موتها، تقام يوم القيامة وعليها سربال من
القطران ودرع من جرب“ ربنا يهديها .

هاجر متأثرة: الله ، دي قصة حب عظيمة ، فقدت بصرها بفقدانه .
مكاسب بلامبالاة: ولا حب ولا حاجة ، دي كانت عايزه تطلق
كذا مرة وابويا رفض عشان العيال وكلام الناس .

أميرة: يبقي ندم ، الندم صعب أوي بياخد من جسم الإنسان

مكاسب بنفس اللامبالاه: لا حب ولا ندم ، دي عادات
وتقاليد ، الواحدة عندنا جوزها يموت ، الناس تنتظر
منها تموت وراه ، والأصيلة بقي تموت كل جزء فيها ، في
الجنائز تخرج كل طاقاتها في الصوات واللطم لحد ما تخرج

بعاهه عشان تثبت للناس هي كد ايه حزينة وبالتالي هي
كد ايه أصيله ، وبعديها تتسجن في عباية سوداء وتتحاسب
علي النفس اللي بتتنفسه ، الحزن هنا ظاهري ومظهري.
هبت أميرة واقفه لتمسك في خناقها وبجديه قالت : هو فيه
إيه ؟ انتوا عايشين معنا علي الكوكب؟

عايشين في زمن الجاهلية؟ ده أبو جهل كان كيوت عنكم ،
علي الأقل كان بيدفنهم ويخلص.

تتخلص مكاسب من يدها ضاحكة : هتموتيني يا مجنونة ،
وانا مالي هو انا اللي اتعميت ولا قولت لهم يعملوا كده.

تتركها أميرة وتجلس حزينة : أنتوا اللي بتسكتوا ، والسكوت قبول.

جهاد : وانا اللي كان نفسي أتجوز صعيدي عشان عنده
مبادئ ومحافظ علي دينه ، انتوا متأخرين أوي يا مكاسب

مكاسب : مش كل الناس هنا كده ، الغربية والسفر غيروا الناس
والصعيد زي أي مكان فيه المتعلم والجاهل.

أميرة : باقول لك إيه ، مش عايزين مبرارات ، قسما برربي
ما اقعد دقيقة واحدة في بلدكم دي ، وأبوكي علي أبو عمك.

لأول مره ترأه مريضاً يتألم ويتضرع لله ، مستندا علي ذراع والدتها ، بوجه بائس وعيينين ذابلتين ، لا حول له ولا قوة ، اقتربت منه بخطي متوجسه وقلب مثقوب ، ونظرت له بعين زجاجية ، حيث خانتها الأبجدية ، انتبه لوجودها ، فحاول أن يعتدل في جلسته ليسكب عينه في عينيها ، فكسر زجاج عينيها حيث هربت بهما للأرض في حين لمعت عيناه بالدمع فقال بكسرة : عارف إنك مابتحبنيش ، بس إنت ماتعرفيش إنني باحبك . رفعت عينيها وبحدة قالت : اللي اعرفه إن الحب أفعال .

صمت لينهي مواجهة محتملة منذ سنوات ، فتحدثت هي : تعرف يا بابا أنا أكثر كلمة كرهتها ، كلمة حب ، كلمة كدابه كده جواها غير براها ، تشبه القمر كده ، من بره تحلف بنوره وجماله ومن جوه تنفر من حجارته وصخوره وماتقدرش تاخذ نفس طبيعي فيه .

سقطت تلك الدمعة اللامعة في عينيه وقال متوسلا : يا أميرة أرجوكي ، بلاش الكلام ده دلوقتي ، أنا تعبان ، تعبان قوي والدكاتره قالوا عندي مرض خطير .

بسخريتها المرة المتمررة : مرض خطير ، وحضرتك؟ يبقي أكيد الإيدز . نهرتها أمها الباكية : أميرة ، اوعي تنسي إنك بتكلمي أبوكي صرخت باكية : دي المشكلة ، أنا عمري ما نسيت أنه أبويا ، أبويا اللي عمره ما فكر أنا بيحصلي إيه لما بشوفه

ب...صمتت وهمت بالرحيل ، فامسك بيدها كمستغيث : أنا هاموت يا أميرة، ومش باطلب منك تسامحيني ، لأن أنا نفسي مش قادر أسامح نفسي، أنا هطلب منك ماتضريش نفسك، أستقوي بالصح وماتضعفيش بالغلط ، افرحي بالموجود وماتحزنيش علي الناقص، أنا لما سميتك أميرة ماكانش عشان تحطي تاج علي رأسك ، أنا سميتك أميرة عشان تتحطي تاج علي الرأس، وان كانت سقطاتي خلتنني فشلت في كدا، فنجاحتك إنتِ توصلك لده، خدي بالك من نفسك. جاءت كلماته كمجئ سيارة إسعاف بعد موت المريض.فبماذا تفيد؟ فكثيرا ما نفقد روعة الأشياء عندما تصاب بلعنة التأخير.

بحثت عن دموعها ، ولم تجدها حيث انتابها شعور غريب ، فلا تدري هل تحققت أمنياتها في موت شخص تسبب في عقدها النفسية واغتيالاتها المعنوية، وبالتالي هي سعيدة ، أم أنها فقدت والدها وعائلها وستتعرف علي مصطلحات جديدة كمصطلح ”اليتيم“ الذي طالما سمعت عن قسوته وبالتالي هي حزينه ، لا تدري ، فثمة أشخاص يؤملك وجودهم ويؤملك غيابهم أيضا ، انتابتها حالة صمت عارمة وسط لوم ونظرات المعازيين .

عادت لتبحث عنه أو عن نفسها داخله ، ضحكت ساخرة
عندما تذكرت نصيحة أميرة بان تبعد ، فلا شيء يخلصها
من حبها الأعرج سوي البعد ، لا تدري بأن بعدها قرب ، لا
يزيدها إلا حبا وتشبثا به

عادت ليستقبلها بعادته كأنها لم تغب ، لا يفتش في تفاصيلها
ولا يثرثر معها علي أيام غيابها ، فقط يكتفي بسؤال مثلج لا
طعم له ولا رائحة قائلا : كل ده غياب ؟ ، فتجيب هي : ”
ظروف“ إجابة مقتضبة مستفزة عليها تستفزه فيسأل سؤالا أخر
، فلا يفعل ولا يستفز غيرها ، حيث يتطرق لحديث أخر ، أو
لاسهاب كلماته المعسولة المحفوظة ، تاركها تحترق بنار اللا
حب ، فلا حب يقوم علي الحفظ والإسهاب ، جلست جانبه
بملاح جافه ووجهه يخلو من التعبيرات ، وصوت داخلها
يتفكر ويسأل : كيف له بأن يرحب بوجودها وغيابها معا ، في
غيابها كأنها لم تكن وفي وجودها كأنها هي ولا يمكن لغيرها أن
يكون ، تصل لإجابة واحدة ، عندما يتساوي وجودك وغيابك
لدي الشخص الأهم في حياتك ، فلأبد من أن يفقد شرعيته في
الأهمية ، قطع صوتها الداخلي : مالك يا هاجر ، ساكته ليه؟
ودت أن تقول : خلص الكلام في عتابك .

لكنها هزت رأسها بائسة : مفيش ، مانمتش كويس أمبارح .

عماد : مانمتيش كويس ليه؟

ابتسمت لسؤاله ، وعادت لاستفزازه بكلماتها تلك ” ظروف “ ولكن خشيت من نتائجها فسرعان ما قالت : مشكلة ، مشكلة كبيرة .

عماد مستغربا : خير ، مشكلة إيه؟

صمتت لعجزها عن تأليف مشكلة ، فقال : ماتقولي يا بنتي ، إنت هتتكسفي مني ولا إيه؟!

هاجر : لا ، بس ، أصل.....

عماد : قولي

خطر في رأسها فكرة ، طالما استعملتها اميرة مع ضحاياها ، فقالت : أنا تعبت شوية ، فرحت عملت تحاليل وأشعة وطلع عندي مرض خطير.

عماد : مرض إيه؟

هاجر : مرض.. اللي هو.. في الدماغ ، ورم في الدماغ

عماد : بتتكلمي جد ؟

: حد يهزر في المرض.

عقد جبينه متأثرا بكلامها وسادت لحظة صمت قطعها بقولة : ماتخفيش ، لو كنتي من غير دماغ خالص أنا قابل شعرت لأول مرة بأن نفسها يخرج طبيعياً وإن كانت ضربات قلبها غير منتظمة ، تمنى بأن ينتهي العالم عند هذة

اللحظة ، العالم الذي يبخل علينا بالحروف المدوية تلك ولا يمنحنا إياها إلا إذا طالنا الموت ، لمست وجه كأنها تتأكد من وجوده ، ثم راودها شعور بأن تلك الكلمات كلمات حب لا شفقة ، لكن فليكن ، لا عليها سوي أن تغمض عينيها وتستمتع بتلك السعادة الصافية التي تفتتت خلاياها.

سخطت علي كل شئ حولها ، بداية من الماء الذي أثار زعر صديقاتها عندما رأوا مخلقاته قابعة في ” الفلتر “ ، إلي عمته التي فقدت بصرها بسبب أفة الجهل ، تحول سخطها لتمررد ورفض ، فلا شيء عاد يرضيها مما جعلها هي أيضا مرفوضة بل مغضوباً عليها ، فتحولت لعقرب يلدغ ويموت ، انتظرت انقضاء اجازة الترم علي أحر من الجمر لتختبئ في أحضان القاهرة ولتتدفأ بزحامها

عادت أميرة بحداد علي أيام الأجازة لا علي أبيها ، تلقت من صديقاتها المواساة وكلمات التعازي بحزن مصطنع ، سرعان ماتتطير برنين هاتفها ، فقالت : ثواني يابنات معايا فون مهم . هاجر : استني هنا ، إنت مافيش حاجه بتحوج فيكي ، أكملت مكاسب : أنا عارفه ، أنا قلت هتيجي تمشي علي الصراط المستقيم .

أميرة: أنا فعلا هالتزم ،وبانهي علاقاتي بكل الناس وقريب هاستقر ،قالتها وجرت علي ”البلكونة“.

★★★

طرق باب غرفتهن تلك المشرفة الصفراء علي حد قولهن التي لا تطيق كلمة لإحدهن ،قالت مشمئزة :زيارة لهاجر ممدوح عبد الله.

التفتت هاجر: ليا أنا ،مين؟

: ابن خالتك ، قالتها وذهبت.

هاجر: ابن خالتي إيه ، أنا معنديش حالات ، استني يا مس.

استوقفتها أميرة: استني إنتِ ، ده أكيد حد يعرفك.

هاجر: معرفش حد غير عماد.

أميرة :يبقي هو.

هاجر :مش ممكن ، ده كان لسه معايا علي الفون وقفل لما المس جت.

أميرة: خلاص انزلي شوفي مين وطميني.

★★★

لا خبر يسعد الزوجة سوي إبلاغها بأنها ستصبح أما ، لكنها لم تكتب من الزوجات السعيدات ، فسرعان ما فسدت سعادتها لسماعها تلك الكلمات التي كانت بمثابة رصاص فتت بنيانها

” وأنا إيه اللي ضمنى إن اللي فى بطنك ولد أبني ”

سارة: نعم!

أم حمزة: إنتى قبل كده قولتى إنك حامل عشان تدبسى أبني فى جوازة ، وقبلها كنتى عايشه معاه بورقه ، يعنى واحدة رخيصة وكدايه ، أتوقع منك أي حاجة رفعت وجهها للأعلي كي تبتلع عينيها الدموع وحاولت أن تتماسك قائلة: الرخيصة الكدابة ، ابنك اختارها شريكة لحياته ، وربنا أرد أن شركتنا تكبر وتدوم ، فرزقنا بحته منه ومنى ، فماتوقيش قدام أرادة ربنا وحاولي تشوفيني بعين تانية هتلاقيني حد تاني.

أم حمزة: مش هيحصل ، إنتى أخرك مع ابني لحد ما يخلص امتحانات بعدين نفى الشركة اللي تعردى ، ثم أبعدتها من طريقها بحركة من يدها وذهبت للتركها خلفها منهارة ، وكان بدا أن تنهار ، فهناك أخطاء إذا ارتكابنها العمر لا يكفي لها ثمنًا.

ارتدت عباءتها السوداء علي عجل وذهبت بقلق لتري عماد ممسكا بحقيبة هدايا وواقفا في ركن من أركان المدينة الجامعية طالما بكت فيه من وجع خيانتة ، ابتسمت لمفاجأته وجرت إليه كطفلة سعدت بحضور أبيها ، فابتسم لبراءتها قائلاً: عامله ايه النهاردة؟

: أسعد واحدة علي الكوكب.

مازحا: بالعباية دي؟

تذكرت، فوضعت يدها علي فمها خجلا، فقال : باهزر ده حتي شكلك حلو فيها، ممكن تنزلي بيها الجامعة.

هاجر: بجد.

عماد: بجد، حتي تشوفي طلبات الطلبة في الكافتريا.

دفعته في كتفه وابتسما

عماد: أنا عارف ان عيد ميلادك فاضل له شهرين، بس قابلت الهدية دي فجبتهالك ، افتحيتها..

أخذتها مبتسمة وفكت تغليفها لتجد دمية من العاج علي شكل رجل يحمل امرأة علي كف يده.

ضحكت: الله، معناها جميل أوي.

عماد: فيه حاجه كمان في الشنطة شوفيتها.

وجدت علبة شكولاته علي هيئة قلوب محفور عليها اسمها "هاجر".

دمعت من السعادة، فمازحها ليمحي دمعها : دي هتدفعي تمنها عشان كلفتني، ضحكت بصوت عالٍ.

انتبهت المشرفة لوقفتهما فنادت عليها.

ارتجفت : يا لهوي ، المشرفة خدت بالها من الهدايا ، أنا
هامشي لتعمل لي مشكلة.
عماد: خدي بالك من نفسك.
هزت رأسها بسعادة .

بحثت عن نفسها أو عن شيء يؤكد وجودها ، شيء يجعلها
تري بالعين المجردة، يجعلها تنتظر بداية اليوم لا نهايته.
تذكرت حينما رأت أميرة رسوماتها ، فأشادت بها ، وأكدت
لها بأنها تتمتع بموهبة كبيرة ، ومن هنا اكتشفت أنها تجيد
الرسم ، قد تكون هذه الموهبة مرآة تعكس صورتها المبعثرة
، فترى نفسها ويرأها الآخرون ، ولكن السعي كيف يكون؟
إذا كان وجود موهبة لدي إنثي في الصعيد أشبه بوجود لؤلؤة في
بطن السماء ، تحتاج لجناحين ومغامرة كبيرة من أجل الوصول.
لكن لا عليها، فهي الآن في القاهرة لا الصعيد.

نهضت من فراشها إلي سنترال أميرة ”بالكونة“ ، وكالعادة وجدت
رأسها مسكوبة في الهاتف ، فهزت كتفيها : أميرة، عايزكي ضروري
أشارت لها بعلامة الصبر ، دون التوقف عن مكالماتها،
غضبت مكاسب : يازفت باقول لك عايزكي ضروري.

لم تجد أميرة مفرا امام إصرارها ، فأنهت مكالماتها علي
ضجر : إنتِ دايمًا بتيجي في وقت مش مناسب ، عايزه إيه؟
مكاسب : إيه ، كان هيجبك الشبكة؟

أميرة: كان هيجبلي شكولاته زي هاجر ، ودي أغلي عندي من
الشبكة .

مكاسب : مش عارفه إيه جنون البنات بالشكولاته ده ، ما أنا
بنت اهو وكيس لب عندي برقيبتها ، دي البت هاجر جابت
لنفسها الكانسر عشان الشكولاته .

أميرة: ههههه ، لا هاجر جابت لنفسها الكانسر عشان الاهتمام
، المهم كنتي عايزه إيه؟
مكاسب : عايزة ارسوم .

أميرة: ماترسمي ، هو انتِ بترسمي بصوابي أنا .

مكاسب : افهمي ، عايزه ارسوم ورسوماتي توصل للناس ، وابقى
مشهورة وكده .

أميرة ساخرة: سهله ، عليكي وعلي السبكي ، هيشهرك في لحظات .
مكاسب : تصدقي إنك واطية وأنا اللي قلت إنك الوحيدة
اللي هتساعديني .

أميرة : يا بنتي اتحركي ، اشتركي في معارض ، في مسابقات

الجامعة ، حاولي تنتشري علي السوشال ميديا ، اعلمي
صفحة وأعرضي عليها أعمالك، جروبات كده، ساعدي نفسك
وماتستنيش مساعدة من حد لأن اللي هيقدملك حاجه هياخذ
قصادها اتنين ، حتي لو كنت أنا.

مكاسب: مش قلت لك واطية، بس ده مايمنعش أنك
هتساعديني برده لأنني ماليش علاقات في الجامعة
ومابافهمش في السوشال ميديا ولا باعرف اروح مكان لوحدي.
اميرة: حد قال لك قبل كده يا مكاسب ، إنك كائن لزوج
لزوج البطاطا.

اختارت له هدية ردا علي هديته ، تزينت كأميرة عربية
وطارت كالفراشات للقاءه ، وكأنه اللقاء الأول بينهما، حضر
فاستنشقت رائحته، ألقى تحيته متحاشيا النظر في عينيها،
وجلس فجلست أمامه ، وقبل أن يبدأ بأي كلام ، أخرجت
هديتها مازحة : جبتلك هديه عشان محدش يبقي أحسن
من حد، افتحها كده ، شوف هتعجبك ولا لا ، أصل...
قاطعها بحدة: إنتِ ازاي تعملي عليا فيلم وتعملي نفسك عيانه؟!
أخرستها السؤال ، فأكمل: إنتِ واحدة كدابة وغشاشة.

دمعت: أنا فعلا عيانة، عيانه بيك ، أنت اللي تقرب وتحب وقت

ما تحب ، وتبعد وتخون وقت ما تحب ، وأنا اللي باحب بمرض .
أنا بنك التنازلات اللي بتسحب منه بدون ضمان .

عماد: كفاية يا هاجر، اقلعي توب الضحية اللي انتي لابساه
طول الوقت ده ، قالها بعلو صوته .

دمعت : طول عمري باكذب نفسي واصدق كدبك ، وبرضة
بتشيلني الغلط ودلوقتي بتقول ضحية .

أشعل قلبها بدلا من أن يشعل سيجارته حيث قال بهدوء لزج :
بطلعي تستمتعي بالدموع والكسرة ، كفاية ضعف ، أنا باكره
ضعفك اللي بيفكرني بضعفي في مجتمع ما بيعترفش الا بالأقوياء .

اندهشت لكلامه ، فهز رأسه مؤكدا : أيوه كان نفسي استقوي
بيكي ، لكن إنتي مش عارفه تعيشي غير مكسورة .

أخذ نفسا طويلا من سيجارته ثم القي برصاصة في قلبها
حيث أكمل : إحنا مش لبعض ، إنتي واحدة عايشه عشان
تنجرحي وأنا واحد مش عايز أنجرح عشان أعيش .

جففت دموعها نافية : مش صحيح ، أنا واحدة بتحب لآخر
نفس فيها وده في حد ذاته قوة .

عماد : القوة عندي ليها مفهوم ثاني ، والحياة أولويات ،
عمرك شوفتي حد لابس ساعة وماشي حافي ، أو بني بيت
الدور الثاني قبل الأول؟

هاجر: ابني بنيانك علي الحب ، أنا متمسكة بحبك.

عماد: وأنا متمسك بلقمة العيش.

هاجر: مافيش بينهم تعارض.

عماد: بس فيه بينهم صراع أنا في غني عنه.

أغلق في وجهها كل الأبواب وذهب ليركها وسط هداياها
تحاول نزع تلك الأسهم التي توالى علي اختراق قلبها.

رسمت طفلة بائسة ، واقفة أمام مرآة تقص شعرها الطويل
بحسرة حتي أصبحت كالرجال .

رفعت الرسمة في وجه أميرة: إيه رأيك؟

أميرة: جميلة ، بس ليه طفلة ماتخليها بنت كبيرة عشان
تبقي معبرة أكثر.

مكاسب: شايفها معبرة عن إيه؟

أميرة: عن حال البنات المكبلين بعادات عقيمة ، فبيتخلوا
عن أنوثتهم مقابل المساواة.

ابتسمت مكاسب: ما قصدتش كده خالص.

أميرة: أمال تقصدي إيه؟

مكاسب: وأنا في المدرسة كان عندي مدرس حساب غبي، كان لما يحب يعاقبنا بيشدنا من شعرنا، وأنا كنت ضعيفه في الحساب، فكان بيقتعلي شعري، فقررت أقصه مع إننيحب الشعر الطويل.

أميرة: يخرب بيت قصصك، تصدقي فصلتيني وطبعاً بعد ما قصيتي شعرك كان بيمسكك من ودانك.

ضحكت مكاسب: حصل

أميرة: لازم يحصل، مادام ما فيش متابعة من الأهل أو رقابة من الحكومة علي واحد ما يعرفش حاجه عن العملية التعليمية، يبقي لازم يحصل.

دخلت عليهما هاجر، ففزعا من هيئاتها حيث أذبت الدموع كحل عينيها، وتبعثر شعرها ليخفي نصف وجهها، تمشي مترنحة وكأنها تحمل فوق رأسها بؤس بنات العرب جميعاً حتي وصلت لسريها، أسرعاً إليها وقالت مكاسب: وشك أصفر لمونة، أو عي يكونوا اتحرشوا بيكي؟ أميرة: فيه إيه، ماتلقيناش.

نطقت بصعوبة: عماد سابني، وعرف اني مش عيانه واني باكذب عليه.

أميرة: عماد سايبك من زمان يا هاجر، وعمره ما كان معاكي، وعلي فكرة انا اللي قلت له إنك مش عيانه، عشان ياخذ

قرار وتنتبهي لمستقبلك.

تحولت هاجر لسماع الجملة الأخيرة ، حيث هبت صارخة :
بتقولي له ليه ، مالك ومال مستقبلي ، إنتِ واصية عليا؟
أميرة: ايوه واصية يهاجر ، عشان إنتِ خلاص فقدتي عقلك وعايزة
حد ينتشلك من الضياع اللي كل يوم تتوحلي فيه أكثر من الأول.
هاجر: ضياع! ، هو فيه ضياع أكثر من اللي إنتِ فيه ،
تقدري تقولي لي إنتي علي علاقة بكام واحد في وقت
واحد ، تقدري تقولي لي اللي إنتي بتعمليه ده طبيعي أصلا؟!
أميرة: أنا فقت يا هاجر صديقي ، بقيت لواحد بس ، قررت
اكمل حياتي معاه ، كان لازم أفوك معايا زي ماورطتك زمان
هاجر بعيون زائغة: بتحرميني من الحب وتوفريه لنفسك
!منك لله يا شيخه ، منك لله.

★★★

قبلت به ، فلمَ لا ، وهو يتمتع بصلاحيات تتمناها أي فتاة ،
جامعي ووسيم ولديه شقة وسيارة ، ويتفوق علي حمزة بقوة
شخصيته وخفة ظله ، وفوق كل ذلك يتمني لها الرضا ترضي ولا
يمسك عليها سقططة واحدة ، وكان بدا من أن تتخلص من عقد
الماضي وشبح الزكريات ، عليها تجد في الزواج والاستعداد له
مخرجا ، بلغته موافقتها ، فكاد أن يحلق مع الطيور ، فمن اليوم

هو الأمير الذي فاز بأميرة ذات العينين الساحرتين الجذابتين.
مرت عليها الأيام هادئةً وتصالح مع النفس، بل ومع العالم،
كانت أكثر إقبالاً على الحياة، تلك التي فقدتها بسبب
رجل وأعادها آخر إليها، أصر حاتم علي وضع علاقتهما
في إطار رسمي، وأمام إصراره حددت له موعداً مع والدتها.

انتظرت في فستانها الوردية، ونبرات صوت بلون فستانها،
جاء فارتفعت روحها لتلامس نجوم السماء.

جلس بعد ترحيبهم به، تناول العصير وعمت حالة صمت
طويلة قطعها أمها: أميرة كلمتني كثير عن أخلاقك، وواضح
أنك شاب مميز ومهذب.

رد بهدوء مخيف: أنا كمان عايز اكلمك عن أخلاقها.

شعرت أميرة بقلق موجه كالمرض حاولت إخفاءه بابتسامة
مصطنعة، فنظراته لم تكن نظرات الحب المعتادة منه ولهجته
لم تكن الحانية تلك بل حملت بين طياتها رائحة سخرية.
أردفت أمها: ندخل في الموضوع علي طول بلغني انك جاي
تتقدم لأميرة بنتي و....

قاطعها بنفس الهدوء: لا أنا جاي أقدملك "D.C" يحمل
السيرة الذاتية لبنتك، عشان تتعرفي عليها.

نظرت الأم نظرة حيرة وعدم فهم لأميرة التي هبت واقفة
وبتوتر قالت: مالك يا حاتم ، فيك إيه؟

وقف رافعا صوته: إنت اللي فيكي ، فيكي مضغة قذرة
بتتغذي علي جرح المخلصين.

صرخت الأم: فيه إيه يا بني فهمني.

حاتم : شوفي ال “D.C” دي يا حاجه وإنت تفهمي ، هتلاقي
عليه كل بطولات بنتك في جرح القلوب ، بالاسم والصور وأرقام
التليفونات والهدايا ، كله هنا.

رمي نسخه في وش أميرة: خدي اتفرجي.

أميرة: انت أكيد اتجننت ، أطلع بره قبل ما أصوت والم
عليك الناس.

عماد :الناس هتتلم عليكي أنتي ، لأنني وزعت علي كل
ضحيه من ضحياكي نسخة ، وكل واحد بيستعد للانتقام
بطريقته ، أنا عملت مجهود كبير لحد ما وصلت لهم واحد
واحد وعملت مجهود أكبر في جمع ال D.C بس الحقيقة
مش لوحدي ، صديقتك الصدوقة ساعدتني كتير وكفايه إنها
هي اللي حذرتني من البداية وسردت لي تاريخك المشرف ،
الجامعة كلها مستنياكي بكره ، قالها وذهب.

لم تصدق أذنها ولم تتحمل نظرات أمها ، فجرت علي غرفتها

وأغلقت الباب بإحكام لتنخرط في حالة بكاء هستيري ، صبت لعناتها علي الدنيا التي ترمي عليها شباكها وتنتظر منها ألا تصطاد ، رن هاتفها فارتعشت وكأنه سيخرج منه شخص ينتقم في الحال ، جمعت قوتها وأخذت تحطمه بغل عل بتحطيمه يتحطم الماضي .

توقفت حينما أعادت علي مسمعا جملة حاتم ”مش لوحدي ، ”صديقتك الصدوقة ساعدتني“ اختنقت بحبل الشك والحيرة تحدث نفسها متسائلة : ياتري مين فيهم ؟ هاجر اللي متخيلة انها بتعيش قصة حب عظيمة وأنا اللي ضيعت منها البطل ؟ ولا سارة اللي متهماني بانني وصلت لأم حمزة كدبتها واتسببت في فساد سعادتها؟ تكونش مكاسب ، أيوه مكاسب ، ليه لا ، شايفه حواليا كتير وهي محدش معبرها والحقده يعمل أكثر من كده ، أو ممكن جهاد ما هي بشر برضه ، نصحتني كتير بالحسني وماسمعتش ، فحاولت تتوبني بطريقتها.

لف رأسها وأكلها من الفكر والحيرة ، عاد هاتفها المحطم للرنين مرة أخرى ، نظرت حولها وكأنها تبحث عن شخص تحتمي به ، شخص يخبئها خلفه متلقيا عنها الطعنات للحفاظ علي روحها ، تذكرت والدها ، نعم والدها هو الوحيد الذي كان سيفعل ، ويكون لها درعا في المعركة ، حتي لو نالت عقابها منه ، لكن هيهات فقد رحل والدها الذي كان موته أقوى من حياته ، قدرت وجوده ولكن تبا للتقدير الذي

يأتي بعد الغياب ، ضاقت الدنيا في عينيها ، اختبأت في فراشها ، دفنت رأسها وكأنها تسكب ما فيها من أوجاع .

وقفت متكأة علي النافذة تنتظر مجيئه ، لكنه لم يجئ ، فخرجت قدميها بيئس حتي وصلت لفراشها ، خاضت تجربة بائسة فاشلة للقبض علي النوم ، فجاء متسحباً كصوص الخزن ، شعرت بحركته ، رفعت غطاءها الذي تستر به دموع عينيها ونهضت قائلة : حمد الله علي السلامة .

رد متفاجئاً بمفاجأة غير سارة : الله يسلمك ، إنتي لسه صاحيه؟

تجاهلت سؤاله ، : عايزاك في كلمتين يا حمزة .

حمزة : بكرة إن شاء الله عشان جاي مرهق ، هم بخلع ملابسه استعداداً للنوم .

سارة : انهى بكره يا حمزة وإنت طول الليل سهران مع أصحابك وطول النهار نايم .

تذمر قائلاً : يوه يا سارة ، إنتي بقيتي نكديه خالص وبعدين انا باسهر أذاكر عشان انجح واشتغل ونستقل بحياتنا بعيد عن ماما مش ده كلامك .

سارة : بتسهر تذاكر ! ، إنت مصدق نفسك يا حمزة؟!

حمزة: خلاص باسهر اشيش مع صحابي ياسارة ، عايزه ايه؟
سارة: عايزاك تفوق وتفتكّر إنك مسئول عن طفل جاي للعنينا
وعن جارية مسجونة بين أربع حطان.

حمزة: قولت لك انزلي الجامعة إنت اللي مش عايزه.

: لا يا حمزة ، أنا هارجع اسكن في المدينة تاني علي الأقل
القي حد اتكلم معاها.

: إنت اتجننت ، هترجعي المدينة أزي ببطنك دي ، مش عارفه
انهم مانعين المتجوزين من السكن أصلا.

سارة: هو ده اللي فارق معاك؟ هاخبي بطني يا حمزة ومحدث
هيعرف اني اتجوزت.

: اللي يريحك ، بس ماعتقدش إن ماما هتوافق علي حاجه زي كده.
تضرب كف علي الآخر: يادي ماما ، هو أنا متجوزك أنت
ولا متجوزة مامتك؟

يجيبها وهو يسحب الفراش علي جثته : متجوزاني أنا بس
ماما هي اللي بتصرف.

انبهرت به ، هو الرسام الثلاثيني الذي جمع بين العمق والبساطة، القسوة واللين ، الكبر والتواضع ، كل في موضعه ، لكنها شعرت بضآلة حجمها أمامه ، فهو المثقف الواعي المتزن الذي سافر بلاد العالم وهي الفارغة المشوشة التائهة حبيسة الصعيد ، وذلك لا يزيداها إلا انبهارا به وتلصقا علي حياته ، هو، ينقصها هو كي تكتمل ، ولكنه حتما يبحث عن المكتملة ، هكذا الشرقيون يبحثون عن يشبههم لا من يكملهم ، تمننت أن يستمع لحديثها الداخلي ، أن يشعر بها ، أن يلتفت إليها ، لكن نيل المطالب لا بالتمني ، فقررت أن تتعب ، التعب لمثله فقط.

انتفضت كيامة منتوفة الريش في مواجهة قط مفترس حينما أرسل إليها أحدهم رسالة تهديد عبر فيس بوك مؤكدا أنه سيترك علي وجهها علامة تذكار بالسلاح الأبيض ثمنا لما تركته في قلبه من علامات ، كذلك ارسلت إليها صورة لعينيها الجميلتين مشوهة بماء النار فصرخت وأخذت تتحسس عينيها لتتأكد أنهما بخير ، حطمت جهاز الكمبيوتر الخاص بها ومن قبل هاتفها ، تخلصت من كل شئ كان قريبا منها ، حتي ملابسها الأنيقة ، جمعتها في قلب الغرفة واشعلت فيها النار ما أفزع والدتها فجاءت مسرعة، ارتمت بين أحضانها وتشبثت بها كطفلة راضية باكية: الحقيني ياما ، هيشوهوني.

الأم : ماتخفيش محدش هيلمس شعره منك ، المهم ماتكرريش غلطك تاني.

أميرة: أكرر! أنا مش قادرة أخرج من الأوضة يا ماما ، الجامعة كلها مقلوبة عليا ، حتي حسين بيشتمني بالاسم في قصايدده ، وكل البنات شمتانه فيا.

الأم: ماتنزليش غير في الامتحانات وبعدين هاحول لك لجامعة ثانية.

جمعت رسوماتها لتأخذ رأيه فيها ، أو لتأخذ مسافة قرب منه ، أكد لها موهبتها ونصحها بتغذيتها ، بالتأمل و تغذية خيالها الفقير والتمتع بالخضرة والموسيقى وكثرة الإطلاع علي أعمال المبدعين ، نفذت كل مقاله وكأنه طبيب يكتب روسته علاج لمريض يأمل في الشفاء.

لفت الأيام ولفت رؤسهن معاها ، اجتمعن بعد فرقه في حفل زفاف جهاد التي ارتبطت بشخص كتم غعجابه بها حتي طرق باب أبيها ، صدح صوت عدوية :

الدنيا مولد مغلوب وغالب .. غالب ومغلوب
واللى بيقع يا عينى يروح وينداس
واللى بيقع يا عينى يروح وينداس

